د.بليغ حمدي إسماعيل

الحَرْبُ عَلَى الإسلامِ

(جُذُورُ الدَّاخِلِ وأغْصَانُ الخَارِجِ)

الكتاب: الحَرْبُ عَلَى الإسلامِ

الكاتب: بليغ حمدي إسماعيل

الطبعة: ٢٠٢٢

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com E-mail: info@bookapa.com

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر

إسماعيل، بليغ حمدي
الحَرْبُ عَلَى الإسلامِ / بليغ حمدي إسماعيل
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
١٨١ ص، ١٨*٢١ سم.
الترقيم الدولي: ٨ – ٥٥٤ – ٩٩١ – ٩٧٧ – ٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع: ١٤٠٨٥ / ٢٠٢٢

الحَرْبُ عَلَى الإسلامِ

(جُذُورُ الدَّاخِلِ وأغْصَانُ الخَارِجِ)

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

تصدير

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، الحمد لله المتوحد بصفات الكمال، المنزه عن الأنداد والأمثال، أحمدك سبحانك وأشكرك على جزيل الإنعام والأفضال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله، وبارك عليك وعلى آلك وصحبك وكل من أنت أهل له يا حبيب الله، أشهد أنك عبده ونبيه ورسوله، وأشهد أنك أديت الأمانة، وبلغت الرسالة، ونصحت الأمة، وكشفت الغمة، فجزاك الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

ويتناول هذا الكتاب موضوع الفلسفات والتيارات الإلحادية المعاصرة بشئ من الرصد والتحليل والتفسير، مع عرض سريع لأهم وأبرز دوافع الملاحدة في الطعن بالإسلام الحنيف بوجع عام، مع بيان أهم المبادئ والأفكار التي ترتكز عليها تلك التيارات الفلسفية. ويختتم الكتاب بعرض خطة إجرائية وقائية تبين دور الإسلام في مواجهة تلك الفلسفات. ويشتمل الكتاب الراهن على مقدمة تبين طبيعة الفلسفات الإلحادية المعاصرة، ثم خمسة فصول هي كالتالي:

- الفصل الأول: ويتناول التيارات الإلحادية المعاصرة، ويشتمل هذا الفصل على الحديث بصورة تفصيلية عن البابية والبهائية والقاديانية والشيوعية.
- الفصل الثاني: ويتناول مطاعن الملاحدة في الدين الإسلامي والرد عليهم.
- الفصل الثالث: وجاء تحت عنوان الحرب على الإسلام.. سهام الداخل.والذي يناقش تاريخ حركات الإسلام السياسي في الشرق الأوسط تحديدا في مصر.
- الفصل الرابع: ويتناول صورة الإسلام بين الشرق والغرب.
- الفصل الخامس: ويهتم بإعداد خطة إجرائية في ضوء الفكر الإسلامي لمواجهة التيارات والفلسفات الإلحادية المعاصرة.
- الفصل السادس: واهتم بعرض ركائز التنشئة الإسلامية الصحيحة في ضوء مصادر الإسلام الثابتة.
- الفصل السابع: ويهتم بعرض السجال المستدام بين التنوير والراديكالية في الفكر الإسلامي المعاصر.

ويهدف الكتاب الذي بين أيدينا إلى أن ينتبه الشباب المسلم إلى التيارات والحركات الخفية المشبوهة التي تعمل على الكيد للإسلام، وأن يقف المسلمون على ما في هذه التيارات من ضلال وانحراف حتى يتمكن المسلمون من الرد على تلك الضلالات، علاوة على ضرورة إدراك الخطر

الكامن وراء هذه التيارات التي تعمل جاهدة على تخريب وهدم الدين الإسلامي الحنيف. والله من وراء القصد.

بليغ حمدي إسماعيل

أسْتَاذُ المَنَاهِجِ وطَرَائِق تَدْرِيسِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ(م)

كُلِيَّةُ التَّرْبِيَةِ . جَامِعَةُ المِنيَا

أبريل ٢٠٢٢

الإلحاد.. مذاهب شتى وأغراض واحدة:

إن معرفة الفلسفات الإلحادية وطبيعتها ليست معرفة مجدية في حقيقة الأمر، كما أن تعرف آراء المهووسين من غلاة العقل والنقل أيضاً ليس بهدية، إنما جاءت فرصة الاطلاع على الملامح الرئيسة لأولئك الموتورين مرتكزاً قوياً لزيادة الإيمان بوحدانية الله، وكم أن الإسلام دين سماوي جميل ورقيق وإنساني إلى آخر درجات الإنسانية، ومن أصدق من الله قيلاً حينما يقول في كتابه العزيز﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾.

وجدير بالمسلم القوي أن يدرك مطاعن ومظان أولئك الذين يعيثون في الأرض فساداً وخراباً؛ لا من سبيل التسلية والترويح عن النفس، فالإسلام أمامه تحديات بالغة الحدة والقسوة، لكن من سبيل إعداد العدة واتخاذ الأسباب والطرائق لمواجهة الفتن والخطوب التي تعصف بعالمنا العربي والإسلامي.

والمتعة الحقيقية التي قد يجدها المرء وهو بصدد قراءة المذاهب والفلسفات الإلحادية القديمة والمعاصرة تأتي من أن الإنسان يدخل اختباراً حقيقياً يمتحن فيه صحة إيمانه واعتقاده لعدة أسباب وعوامل؛ أهمها أن يصبح على وعي وإدراك كامل بعقيدته الإسلامية الصحيحة، والمنة والنعمة التي من الله بها عليه من عقل وتدبر وروية وتعقل، كما أنه يجرب أسلحته الإيمانية التصديقية التي لا مجال للشك فيها كالنبوات والإلهيات والغيبيات وغيرها من القضايا الإسلامية الراسخة في مواجهة تبدو شرسة بعض الشئ من تلك التيارات الغريبة الشاذة.

كما أن تلك الفرصة في الاطلاع والكتابة عن التيارات الإلحادية تمثل فرصة مستدامة ومستمرة للاستعانة بالله الواحد الأحد، وبالتضرع الدائم لوجهه الكريم كي يحفظ العبد وعقله وبصيرته، وكم نحن بحاجة ضرورية إلى الاستعانة والتقرب غير المنقطع إلى بارئنا وخالقنا.

ولقد شرعنا في بحثنا هذا إلى التوضيح والتبسيط لأفكار الفلسفات الإلحادية، وأبرز مبادئها الرئيسة، وبيان كيفية الرد على تلك المزاعم أعني التيارات والفلسفات الإلحادية. كما شرعنا بعون الله ومشيئته إلى الاعتماد على قدرة العقل البشري الذي أكرمه الله تعالى بمهارات وقدرات في تفنيد المظان التكفيرية التي ابتدعها أولئك المشككين والمتشككين بالإضافة إلى النور القرآني الذي منحنا الله إياه ووهبنا نعمة القرآن علنا نستحقها ونقدرها حق التقدير.

وإذا استقرأنا طبيعة الفلسفات الإلحادية المعاصرة لاكتشفنا أنها في مضمونها عبارة عن تيارات فلسفية ترتكز على مجموعة من المبادئ الدينية ذات الطبيعة الذهنية المحضة تتخللها أفكار وثنية شرقية وغربية. وتتناول هذه الفلسفات ـ في العادة ـ قضايا غيبية كمصير الإنسان بعد الموت، أو قضايا ذهنية حياتية كوجود الإنسان وماهية هذا الوجود، والأدوار الحياتية للإنسان كدور الخير والشر والتسامح، بالإضافة إلى الطبائع البشرية غير الثابتة كالقلق والتوتر والخوف من المجهول وهكذا.

وأغلب اليقين لا الظن في هذه الفلسفات التي انتشرت بقوة وسطوة في أوروبا منذ بزوغ نظرية النشوء والارتقاء والتي كان من بين ضحاياها

ملايين الشباب في الدول الغربية اهتمت جل اهتمامها بالروحانيات، لكن للأسف الشديد لم ينتبهوا إلى عظمة الإسلام وطبيعة القرآن الكريم بوجه خاص في معالجة الجانب الروحي للإنسان، ولأنهم أرادوا بأنفسهم سوءاً طفقوا يجربون كل شئ على سبيل القلق الوجودي فكانت النتيجة انتحار الملايين وانتشار البغي والفساد وشيوع الزنا لاسيما زنا المحارم، انتهاء بالشرك والعياذ بالله.

وما أشبه تلك الفلسفات بمرض السرطان الذي يدخل جسد الإنسان في خلسة غير مرئية أو مسموعة، وسرعان من تتحول الخلايا السرطانية إلى وحش كاسر فاتك يدمر الإنسان نفسه، والتشبيه هنا يتقابل في مبدأ السرية والتخدير الكاذب، فمعظم المبشرين للفلسفات الإلحادية أوهموا الشباب التائه لاسيما بعد وقائع الحرب العالمية الثانية التي دمرت أوروبا بالكامل من وجهيها الحضاري النفسي والمادي المحسوس، وأوقعوهم في شرك الهدوء النفسي والبحث عن سبب لوجودهم، وهدف يأملون إليه، ناهيك عن المزاعم التي فرضوها على أولئك الشباب قسراً وقهراً حول إعادة التوازن النفسي لهم إزاء الآثار الناجمة عن الحرب.

ولاشك أن أولئك الشباب لم يجدوا في تعاليمهم الدينية غير الإسلامية ملاذاً وملجأ ومأوى، مما دفعهم إلى الهرولة نحو هذه التيارات الهدامة التي أججت النار في نفوسهم المحمومة بدلاً من تطفئها وتهدئ من روعها. وكأنهم لم يقرأوا قول الله تبارك وتعالى ﴿وكذلك أوحينا إليك من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من

نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾.

وكما تعددت مسميات هذه الفلسفات الإلحادية مثل الهندوسية والجينية والبوذية والطاوية والشنتوية، أو وثنيات الشامانية والدرودية والهونا والويكا، أو فلسفات حديثة مثل الوجودية والبنيوية والتفكيكية والواقعية القذرة (كما في ترجمتها الإنجليزية) وغيرها من الفلسفات العجيبة، تنوعت وتباينت مظاهر معتنقيها مما دلل على هوسهم وتشتتهم الفكري والعقلي. فوجدنا أنصار ومريدي تلك الفلسفات ممن يطيلون شعرهم كالنساء، بالإضافة إلى ملابسهم الغريبة والتي تعبر عن حالات القلق والتوتر والتمرد التي يعيشونها.

وليتهم في ذلك الوقت استعانوا بالذكر الحكيم وهو يعبر عن حالات إنسانية راقية ترتقي وتعلو بفضل الله ورحمته، يقول تعالى ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء﴾، ومثل قوله تعالى الذي يفيد أن كل شئ بيده وحده لا شريك له ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾. وهذه الآية الكريمة من شأنها أن تجعل الإنسان المؤمن قرير العين هادئاً مطمئناً لقدرة الله.

وجاءت الفلسفات الإلحادية المعاصرة بفكرة موحدة وهي القدرة المطلقة للوجود الإنساني، وأن الإنسان بقدرته فاعل وقادر، واستندوا في ذلك على عشرات الأساطير اليونانية الوثنية التي تدعم قدرة هذا الوجود

كأساطير بروميثيوس وأدونيس وغيرهما من القصص الأسطورية التي خدرت عقول الشباب الأوروبي وجاهد المستشرقون والتبشيريون في نقلها إلى الواقع العربي الإسلامي، وهوى كثير من الشباب العربي المسلم في بئر هذه الظنون والمزاعم الكاذبة من باب الولع بالتقليد.

وعندنا في القرآن الكريم عشرات بل ومئات الآيات القرآنية التي تشير إلى القدرة الإلهية التعجيزية مثل قوله تبارك وتعالى ﴿ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه﴾، ومثل قوله تعالى: ﴿فلينظر الإنسان مم خلق. خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب. إنه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فماله من قوة ولا ناصر. والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع إنه لقول فصل وما هو بالهزل﴾، وقوله تعالى ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾.

وإذا أردنا أن نتعرف قليلاً عن أفكار ومبادئ الفلسفات الإلحادية المعاصرة،فإن الملمح الرئيس لها هو التوفيق بين الأديان السماوية ولكن بصورة مشوشة مشوهة، وكان هدف أصحابها في البدايات المبتورة هو استخلاص بعض المعارف والمبادئ من الديانات الكتابية لاسيما اليهودية والنصرانية، ودارت نظرياتهم في صيغتها الأولية نحو عقيدة الخلاص والتطهير.

واستندت أفكارهم على نثار الفلاسفة القدماء، أمثال ديكارت الذي حاول أن يقيم علاقة بين العقل والمادة، لكنه لم يعبأ بإقامة علاقة بين الله ـ سبحانه وتعالى ـ وبين العالم؛ لأنه كما أشار المفكر الإسلامي عباس

محمود العقاد أن قدرة الله في غنى عن هذه العلاقة، وكذلك جورج بركلي الذي لم ير أهمية في الكون سوى العقل لاسيما العقل الباطن. ومنهم من ارتكز على فلسفات أخرى مثل مذهب اسبنوزا الذي اعتقد أن الله والكون والطبيعة جوهر واحد، ومذهب الأخير متعدد الولوج في قضايا ذهنية مملة تدور في فلك الجوهر والماهية والامتداد ومصطلحات أخرى لا تفيد.

ومن العجيب أن يدحض تلك الفلسفات التي ولدت وترعرت في أوروبا وسط غياب تام للحضور الديني اليهودي والمسيحي المفكر ماكس موللر، حيث أقر بأن البصيرة هبة عريقة في الإنسان، وأن هوس الإنسان بالنزوع إلى تلك التيارات الإلحادية هو محنة حقيقية للعقل البشري. وأكد على أن الإنسان يحتاج إلى التدين بصفة مستدامة.

والملمح الأبرز في تلك الفلسفات الإلحادية المعاصرة أنها لم تهتم بتهذيب وتدعيم السلوك والخلق الإنساني، وهو ما امتاز به الإسلام في الرقي والاعتناء بالخلق والسلوك والطبيعة الإنسانية بوجه عام. وبدلاً من أن تتيح الفلسفات الإلحادية التي انتشرت في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية حرية التفكير ومرونة العقل جعلت الإنسان الأوروبي مكبلاً بالأغلال، حيث تركته فريسة سانحة القنص للقلق والتوتر والهوس الذي أدى به إلى الانتحار الجماعي.

والإسلام في ذلك عالج هذا الأمر معالجة حكيمة، حينما اهتم بالجانب التعبدي والجانب الأخلاقي للمرء، فاستطاع بالجانب التعبدي أن

يصل بأطواره إلى حد الاكتمال من صلاة وزكاة وحج وصيام وغيرها من الشعائر التعبدية التي تسهم إسهاماً كبيراً في الارتقاء بالجانب الأخلاقي.

الفصل الأول

التيارات والفلسفات الإلحادية
(البابية ـ البهائية ـ القاديانية ـ الشيوعية)

الإسلام والتعددية الدينية:

لم يكن الإسلام الحنيف يوماً ضد حرية الاعتقاد، بل كان داعياً إلى حرية المرء في اختيار عقيدته، ومن هنا تبرز سماحة الإسلام وعبقريته في آن واحد، وجاء ذلك بوضوح شديد في النص القرآني، حيث يقول الله تعالى ﴿لا إكراه في الدين﴾، والإسلام بذلك يقر حقيقة عظيمة للإنسانية وهي عدم إرغام المرء على ترك دينه ودخول دين جديد. ويؤكد النص القرآني ذلك مثل قوله تبارك وتعالى ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾.

والدين الإسلامي كان الدين السماوي الحنيف الذي أقر بمبدأ التعددية الدينية، بل واعترف بها أيضاً. ومن منطلق هذا اعترف الرسولﷺ باليهود ككيان واقعي بالمدينة المنورة، وإعطاء الفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الأمان والحرية الدينية للمسيحيين من سكان مدينة القدس العربية، وما فعله عمرو بن العاص بالأقباط حينما فتح مصر. بخلاف ما فعله الأسبان بأهل الأندلس المسلمين من قتل وصلب وحرق وتدمير.

وتؤكد كافة الكتابات التاريخية الإسلامية أن الإسلام كفل حرية النقاش الديني معتمداً في ذلك على مبادئ أصيلة مثل الحوار الجيد الخصب، واحترام الآخر، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ادع إلى

سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾. وكم من مرة أشار القرآن الكريم إلى الدعوة الجادة للحوار بين أهل الأديان مثل قوله تعالى ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾.

وبالرغم من هذه السماحة والدعة التي منحها الإسلام للمختلفين معه عقدياً، تجرأ البعض من أهل الكتاب وغيرهم ممن تجردوا من نعمة العبودية لله بالهجوم على الإسلام والمسلمين، والطعن في العقيدة الإسلامية وتشويه معالم الإسلام السمحة.

الحقد المتنامي ضد الإسلام:

يبدو للبعض أن موجات الحقد والكراهية ضد الإسلام والمسلمين ظهرت حديثاً، أي منذ بداية القرن العشرين، لكن الحقائق والمؤشرات التاريخية توضح أنه منذ فجر الإسلام وتلك الموجات تتنامى وتتصاعد ضده، وضد القرآن الكريم بصفة خاصة. ولك أن تدرك المحاولات المستميتة والمسماة بالإسرائيليات لتشويه وتخريب الدين القويم.

والمدهش أنه وسط غفلة المسلمين في العصر الحديث والمعاصر، بدأت هذه الموجات التخريبية في وضع خطط منهجية منظمة للنيل من الإسلام وأهله، وبدأ هؤلاء المتآمرون على الإسلام بالتعاون مع أشكال الاستعمار والحركات الصهيونية في الكيد للإسلام وتخريب عقول أبنائه عن طريق الغزو الثقافي ومسميات التيارات الفلسفية والفكرية ومبادئ الحداثة والحداثوية.

وتمثلت هذه التيارات في حركات منحرفة ضالة مثلت الوجه القبيح للإلحاد والغلو الفكري والعقائدي، ومن المؤسف انتشار بعضها بالبلدان العربية والإسلامية انتشار النار بالهشيم وسط حيرة مستدامة من الشباب العربي المسلم الذي ترك نفسه صيداً سهلاً لمفاسد الإنترنت والفيس بوك المتغيرات الوافدة من الغرب والشرق والشمال والجنوب. وأعني بتلك الحركات والتيارات المنحرفة البابية والبهائية والقاديانية.

أولاً ـ الحركة البابية:

ظهرت البابية أول ما ظهرت في إيران، تحديداً في القرن التاسع عشر، وهي حركة إلحادية مبغضة للإسلام. وأخذ أصحاب هذه الحركة المشبوهة يبثون الفتنة ويشيعون الإلحاد والفتنة في صفوف الناس هناك من أجل تحقيق أهدافهم الخبيثة للنيل من الإسلام.

وعمل أولئك الموتورين في النيل والكيد للإسلام على وسائل متعددة منها الدعوة إلى الإباحة في النساء والأعراض والأموال، تشبيهاً بالشيوعية الممقوتة، وبالدعوة إلى الحلول والاتحاد وهي أفكار تغلغلت في الفكر الإسلامي الصوفي عن طريق المسيحية، انتهاء بالقول بالتناسخ.

ويشير الدكتور محمد الجيوشي (١٩٩٨) أن هذه الأفكار انتقلت من فرق وتيارات مثل السبئية والكسانية والراوندية والباطنية مروراً بالإسماعيلية والقرمطية والحزمية انتهاء بالحريدينية حتى أصبحت على مسماها الحالي بالبابية.

البابية وعوامل ظهورها:

تشير كلمة باب إلى الدلالة على الشيخ الذي يعلم الناس، وتشير أيضاً إلى المدخل الذي يدخل منه المرء. وقد ظهرت البابية في إيران نتيجة عدة عوامل أججت في ظهورها من أهمها تأهب الغالبية العظمى من السكان في انتظار الإمام الغائب الذي نادت به الشيعة، بالإضافة إلى الدروس الدينية المستمرة على يد (أحمد الإحسائي) الذي تشير الدلائل التاريخية إلى أنه قس غربي جاء من إندونيسيا حسب خطة استعمارية منظمة لإفساد عقيدة المسلمين، و (كاظم الرشتي) من ظهور إمام يرشد الرعية ويخلصهم من فسادهم وانحرافاتهم الدنيوية. وأخذا يدعوان إلى الحلول والاتحاد والخرافات الوثنية وتقديس الأئمة.

ولاشك أن الاستعمار السوفيتي وجد في ذلك فرصة سانحة لتسهيل مهمته التدميرية بتدعيم هذه الحركة، فعمل الاستعمار الروسي على إفساد العقيدة الإسلامية بنشره للخرافات والحيل والأكاذيب كالصنيع الذي فعله اليهود بتراثنا الإسلامي كما أشرنا سابقاً.

الدور اليهودي في مساندة البابية:

من الطبيعي أن تظهر لفظة اليهود في كل مساحة يحاول الملاحدة فيها التشكيك في الإسلام والنيل والكيد له، واليهودية العالمية عملت ولا تزال تعمل في تدمير العقيدة الإسلامية منذ بدايتها، وهذا ظهر جلياً في إعلان التأييد والتعاون للباب، وليس من الدهشة والغرابة أن تجد أعداداً كبيرة من اليهود انضموا إلى الحركة البابية.

وإذا أردنا أن نفسر هذه الهرولة من العناصر اليهودية نحو الحركة البابية فإننا سندرك أن هدفهم هو توجيه هذه الحركة والقدرة على التحكم في مبادئها وآرائها ، وهذا يؤكده أن الباب ومن بعده البهاء استندا على ما جاء في التوراة، وأن الميرزا على الشيرازي كانت التوراة أنيسه في محبسه وسجنه.

العقائد البابية:

عبرت العقائد والأفكار البابية عن حالة الهوس والانحراف العقلي لدى أنصارها، وهذا ما نجده واضحاً وجلياً في اعتبارهم بأن الله يعلو علواً كبيراً يحل في البشر، وأن هذا الحلول يعتبر مظهراً إلهياً في هيكل بشري. وجاوزوا هذا العبث بإعلانهم بأن ظهور الله الواحد الأحد الفرد الصمد في هيكل تعدد بتعدد ظهور الأنبياء والرسل.

أما بالنسبة لأفكارهم ومعتقداتهم حول الآخرة فهي مختلفة تماماً مع ما جاء في القرآن الكريم، وهم في ذلك يفسرونها تفسيراً باطنياً. والباطنية باختصار شديد هم أهل دعوا إلى الحلول وأفرطوا في التأويل وحولوا كل عمل ظاهر إلى سر باطن، وكما أشار الإمام محمد عبده في كتابه رسالة التوحيد أنهم فسروا الكتاب بما يبعد عن تناول الخطاب، وعرفوا بالباطنية أو الإسماعيلية ولهم أسماء تعرف في التاريخ فكانت مذاهبهم غائلة الدين، وزلزال اليقين، وكانت لهم فتن معروفة وحوادث مشهورة.

والبابية من منطلق ما سبق لا يؤمنون بشئ مما ورد بشأن الآخرة في القرآن الكريم، ولقد أشار إليهم القرآن وأمثالهم حين قال ﴿وقالوا ما هي

إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾ . والقيامة عندهم قيام الروح الإلهي في مظهر بشري جديد، ولقاء الله يوم القيامة هو لقاء الباب لأنه هو الله، والجنة في اعتقادهم هي الفرح الروحي الذي يشعر به المؤمن، أما النار فهي الحرمان من معرفة الله في تجلياته في مظاهره البشرية.

العبادات عند البابية:

أ ـ الصلاة:

ألغى الباب الصلوات الخمس المفروضة بالإضافة إلى صلاة الجمعة، وأبقاها فقط في صلاة الجنازة، وهذا من غريب وفحش قولهم، ويقول الباب في كتاب البيان الواحد السابع ـ كما أشار الدكتور محمد الجيوشي ـ مخاطباً أتباعه: "رفع عنكم الصلاة كلهن إلا من زوال إلى زوال تسع عشرة ركعة واحداً واحداً بقيام وقنوت وقعود، لعلكم يوم القيامة بين يدي تقومون ثم تسجدون ثم تقنتون وتقعدون".

وفي موضع آخر في كتاب نقطة الكاف للكاشاني وهو أحد رجال البابية الموتورين نجده يقول عن الصلاة ما يلي: "إن المقصود من الصلاة التكبير والتحميد والتعظيم قولاً وفعلاً لحضرة النقطة الشيرازي وهذا هو المفهوم لقول الأمير عليه السلام: "نحن الصلاة، وإلى جانب ذلك تحدث الباب عن السجود فقال في البيان: فلا تسجدن إلا على البللور، فيها من ذرات طين الأول والآخر من ذكر الله في الكتاب لعلكم شئ غير محبوب لا تشهدون البيان الثامن من الواحد العاشر".

وإذا أعملنا العقل الذي منحنا الله إياه وهو نعمة لا تعد ولا تحصى، لتعجبنا أولاً من هذا الكلام الذي لا دلالة له، والمعاني الرخيصة التي تحملها النصوص السابقة، فكما أكدنا في تصديرنا للدراسة الحالية بأن التيارات والفلسفات الإلحادية المعاصرة قامت بتلفيق النصوص الوثنية القديمة وحشوها بعبارات دينية بقصد إيهام العامة، نجد النصين السابقين يكودان هذا، فمثلاً يشير الكاشاني إلى ضرورة السجود على البللور عند الصلاة التي هي في الأصل مغلوطة ومشوهة لديهم، وهم في شرك وضلال حينما ينادون بالحلول والاتحاد في الباب.

علاوة على الألفاظ التي نجدها مرصوصة رصاً دون معنى أو قيمة، بالإضافة إلى ابتكارهم غير المرغوب فيه في قواعد النحو كالإضافة مثلاً حينما يقولون البيان الواحد العاشر، والبيان الواحد السابع، ورحم الله علماءنا النحويين الذين يسروا لنا قواعد اللغة فرقت ولانت طبائعنا بها.

ومن عجائب بدعهم في الصلاة والطهارة أيضاً ما رخصوه لنسائهم، فلقد أعفا الباب النساء من الصلاة والصوم عند حيضهن، ثم دعاهن إلى الوضوء ثم التسبيح خمساً وتسعين مرة من زوال إلى زوال، ويقلن عند ذلك: "سبحانك الله ذي الطلعة والجمال".

ب ـ القبلة:

وكل المسلمين يعلمون أن قبلتهم هي المسجد الحرام لقول الله تعالى ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾، أما عند تلك الفرقة ـ أي البابيين ـ فقد جعل الباب الشيرازي قبلة الصلاة

البيت الذي ولد فيه، أو مكان سجنه ومحبسه بعد ذلك، ثم تطرف أتباعه فجعلوا القبلة الأماكن والبيوت التي عاش فيها.

ونحمد الله تعالى على اجتماعنا واتحادنا في الصلاة والآذان والقبلة، فلقد تشتت أمرهم بتشتت قبلتهم وشرود صلاتهم، ونجد الباب الشيرازي يشير إلى القبلة بقوله: " قل إنما القبلة من تظهره متى ينقلب تنقلب إلى أن يستقر ثم من قبل مثل من بعد تعلمون، قل إنما تولوا فثم فوجه الله أنتم إلى الله تنظرون".

ج ـ الصوم:

أما الصوم فعند البابية تسعة عشر يوماً فقط، وهو ما أسموه بشهر العلاء، ويأتي عندهم في الربيع، ويكلف الباب بالصوم من سن الحادية عشرة إلى سن الثانية والأربعين. ويقول الباب الشيرازي في ذلك: "أنتم في كل حول شهر العلاء لتصومون وقبل أن يكمل المرء والمرأة إحدى عشرة سنة من حين ما ينعقد نطفته أن يريدون، أن حين الزوال يصومون وبعدما يبلغ إلى اثنتي وأربعين سنة يعفى عنه، وما بينهما من الطلوع إلى الغروب لتصومون".

غرائب وعجائب البابية:

أورد فضيلة الدكتور محمد الجيوشي في كتابه عن البابية بعض الغرائب عن أتباعها، وأبرز ما أورده فضيلته سر العد ١٩ عندهم، فلهذا العد مكانة خاصة لديهم، ومن أجل ذلك اتخذ تقديس العدد ١٩ مظاهر متعددة منها ما يلي:

- تقسيم السنة إلى ١٩ شهراً.

- جعل الشهر ١٩ يوماً.

- جعل العيد ١٩ يوماً وهو عيد النيروز.

- جعل الصوم ١٩ يوماً وهو شهر العلاء.

- جعل عدد الطلقات ١٩ طلقة ونفس العدد لعدة المطلقة.

- جعل التسبيح في السجود ١٩ مرة.

وكما تفردوا في اختيارهم العجيب للعدد ١٩، امتازوا وتباينوا أيضاً في اختيارهم لأسماء أيام الأسبوع، لذا نجدهم يطلون الأسماء الآتية على أيام الأسبوع السبعة وهي: الجلال، والجمال،والكمال، والفضال، والعدال، والاستجلال، والاستقلال.

ثانياً ـ البهائية:

من أدق التعبيرات التي وصفت بها البهائية ما جاء على لسان الإمام الشيخ محمد الغزالي (رحمه الله) بأنه دين استعماري، أسهمت السياسة البريطانية والصهيونية في ترسيخها وتدعيم أركانها وسط غفلة المسلمين التي تحدثنا عنها من قبل، ومن خلال خططتهم الموجهة المتحفزة للقضاء على معالم الدين الإسلامي.

وما ذكرناه من قبل عن عقائد البابية المنحرفة ينطبق على مثيلتها البهائية، التي أسقط زعيمها البهاء فريضة الحج العظيمة قدراً ومكانة بنفوسنا أجمعين، بل تجاوز في غلوه عندما أوصى بهدم البيت الحرام. وتمادى

رؤساؤهم بعده في إسقاط فرائض الصلاة والصيام والجهاد والقصاص.

ومنذ اللحظة الأولى لميلاد البهائية وهم يلحون في صناعة دين جديد يحارب الإسلام ويخاصمه، فالبداية إعلان البهاء مبشرا بالمهدي، ثم أعلن بعد قليل بأنه المهدي المنتظر نفسه، ثم انتقل بعد ذلك إلى ادعاء النبوة، حتى وصف لأتباعه الموتورين بأن الله تجلى به وحل فيه والعياذ بالله.

وليس من العجيب أن كل كتب البهاء تنشر في الغرب، لأننا أشرنا أن الاستعمار البغيض وجد في موتوري العصر الحديث فرصة سائغة للنيل من الإسلام والمسلمين، بل وجدنا الغرب المستعمر يصف البهاء بأنه داعية محبة وسلام وإخاء. ويؤكد ذلك أن بريطانيا دعت البهاء لزيارة سريعة إلى سويسرا سنة ١٩١١م، وعقدت له مؤتمراً صحافياً ليعرض أفكاره الفريدة. ومنها أنه أعلن بالمؤتمر أن الناس قد نسوا تعاليم بني إسرائيل وتعاليم المسيح وغيره من معلمي الأديان فجددها البهاء.

ونظراً لما لاقاه البهاء من حفاوة من قبل البريطانيين وجدناه يؤكد علانية دون خجل أو خشية أو حياء بأن المدنية الشرقية لم تكن في يوم من الأيام أرقى من المدنية الغربية إلا في عهد (بوذا) وعهد (زرادشت) ثم بدأت بعدهما في الأوهام والخرافات تفسدان على الشرقيين معتقداتهم، على حين كان الغربيون يجتهدون في الترقي نحو النور. وتعددت أسفار البهاء بعد ذلك إلى باريس وأمريكا التي قال فيها: "إن أمريكا أمة مجيدة وهي حاملة للواء السلام في العالم، وتستنير منها جميع الآفاق".

ينتشر البهائيون اليوم في أكثر من مائتين وخمسة وثلاثين بلداً، وهم

يمثّلون أصولاً دينية مختلفة وينتمون إلى أجناس وأعراق وشعوب وقبائل وجنسيات متعددة. أما الدين البهائي فمعترف به رسمياً في العديد من الدول، ومُمثّل تمثيلاً غير حكومي في هيئة الأمم المتحدة والأوساط الدولية العلمية والاقتصادية.

والبهائيون على اختلاف أصولهم يُصدِّقونَ بما بين أيديهم من الكتب السماوية، يؤمنون بالرسالات السابقة دونما تفريق، ويعتقدون بأن رسالة حضرة بهاء الله من الرسالات السماوية لا تمثّل سوى مرحلة من المراحل المتعاقبة للتطور الروحي الذي يخضع له المجتمع الإنساني.

ويؤمن البهائيون بوحدة المنبع الإلهي لأغلب الديانات الكبرى الموجودة في العالم، ويعترفون بمقامات مؤسسيها وبأنهم رسل من الله، ومنها الزرادشتية والهندوسية واليهودية والبوذية والمسيحية والإسلام. ويعتقدون بأن جميع هذه الديانات جاءت لتهذيب البشر أينما كانوا عبر العصور، وبأنها نشأت في مجتمعات كانت تدين بديانات سابقة وبنت الواحدة على الأساس الذي وضعته الأخرى. وهذا أحد أهم المعتقدات البهائية التي تقوم على أساسها علاقتها بالأديان الأخرى واتباع هذه الأديان.

ويعتقد البهائيون أن كما نجد أن للمسيحية على سبيل المثال جذورا في الديانة اليهودية، فإن للبهائية جذورا في الديانة الإسلامية. غير ان هذا لا يعني بأن الدين البهائي فرقة من الإسلام أو فرع من الديانات السابقة، بل يؤمن أتباعه بأن دينهم هو دين مستقل منذ بداياته وله كتبه وشرائعه المستقلة.

رأي علماء المسلمين في البهائية:

يتفق أغلب علماء المسلمين على أن البهائية ليست فرقة أو مذهبا من الإسلام. وقررت المحكمة الشرعية العليا في مصر سنة **١٩٢٥**م أن الدين البهائي دين مستقل عن الدين الإسلامي. وينظر كثير من المسلمين لمتبعيه على أنهم كفار خارجون عن الملة والاعتقاد، وذلك لأن البهائيين يعتقدون بأن مؤسس البهائية هو رسول موحى له جاء بعد رسالة الإسلام. فالمسلمون يؤمنون بأن رسالتهم هي آخر الرسالات السماوية.

وتستند العديد من الآراء الحالية ضد البهائيين على البيان الذي أصدره مجمع البحوث الإسلامّية بالأزهر ضد البهائية والبهائيين ونُشِرَ في عددٍ من الصّحف المصرية والعربية بتاريخ **٢١/١/١٩٨٦**م. ولقد قام البهائيون بالرد على هذا البيان في مقالة صدرت في مجلة أخبار العالم البهائي. وكان هذا المقال مختصرا نسبيا ليتناسب مع بيان الأزهر من حيث الحجم والمضمون. ولقد قامت المؤسسات البهائية بالرد على الاتهامات المشابهة التي كان قد أصدرها الأزهر في بيان صدر عام **١٩٤٧**م، وردت عليه لجنة النشر المركزية بالقطر المصري والسودان بإجازة المحفل الروحاني المركزي للبهائيين ونشر هذا الرد في مصر في نفس العام. كما يدرج موقع حقائق عن الدين البهائي ردا مفصلا على التهم غير الموثّقة والتي تدرجها بعض المواقع والمنشورات معتمدة في معلوماتها على مصادر معادية للتيار البهائي وأتباعه.

ولقد قرر مجمع البحوث الإسلامّية بالأزهر البحث في المسألة

البهائية من جديد نتيجة لما أثارته قضية البهائيين المصريين ووضعهم القانوني في الصحف المصرية، والعربية، والعالمية. ولقد عرضت الجالية البهائية العالمية في رسالة موجهة للأزهر التعاون والمساهمة في هذه الدراسة وذلك تعبيرا عن أملها بأن يسود هذا البحث "روح الاحترام المتبادل والتجاوب الودي التي حثت عليه والمتوقع أن تسود العلاقة بين الهيئات الدينية في العالم". وتستمر العديد من الجهات الإسلامية خاصة في إيران ومصر بمحاربة البهائية علنا والدعوة للقضاء عليها وعلى أتباعها.

العقائد البهائية:

يمكننا عرض بعض العقائد والأحكام البهائية بشكل بسيط وكما هو معروض في دائرة المعارف ويكيبيديا على النحو التالي:

. الصلاة: هناك ثلاثة أنواع من الصلاة البهائية اليومية وعلى الفرد اختيار أحدها.

. الصوم: الامتناع عن الأكل والشرب من الشروق إلى الغروب خلال الشهر الأخير في السنة البهائية.

. موافقة الطرفين ورضاء الوالدين عند الزواج وقراءة آية معينة وقت عقد القران بحضور شهود العيان (الآية: يقول الزوج "إنا لله راضون" والزوجة "إنا لله راضيات").

. تحريم المشروبات الكحولية والمخدرات وكل ما يذهب به العقل.

. تحريم النشاط الجنسي إلا بين الزوج وزوجته.

. تحريم تعدد الزوجات.

افتراءات البهائية:

نعرض في هذا الجزء بعضاً لافتراءات البهائية وزعيمها، ونترك القارئ المسلم ليدرك حجم الجهل والكذب والزيف لدى هؤلاء:

. يقولون إن الوحي لا يزال مستمرا وبأن المقصود بكون محمد خاتم النبيين ﷺ هو أنه زينتهم كالخاتم يزين الإصبع.

. يعترف البهائيون أنهم يؤمنون بأن الوحي الإلهي سيبقى مستمرا لأن هذا من وعد الله لعباده.

. يحرمون ذكر الله في الأماكن العامة ولو بصوت خافت، كما جاء في كتاب "الأقدس": "ليس لأحد أن يحرك لسانه ويلهج بذكر الله أمام الناس، حين يمشي في الطرقات والشوارع".

. يقول البهائيون أن مقولتهم السابقة حول ذكر الله هي للتأكيد على حرمة وأهمية الصلاة وذكر الله. وأن ذكر الله يجب أن يحاط بالتقديس والاحترام من قبل المتكلم والسامع على حد السواء. ويضيفون ان أحكام البهائية لا تمنع، وإنما تؤكد على أهمية ذكر الله في كل الأوقات كضرورة لسعادة الفرد ورقيّه الروحي. ولكن يجب أن يتم ذلك بكل احترام وتقديس.

. لا يؤمن البهائيون بالعقاب والثواب الجسدي وتشير الكتب البهائية إلى أنهم يؤمنون بالعذاب والثواب وأنه يقع على الروح لا على الجسد.

. تشير الكتب البهائية أنهم يؤمنون بوجود الملائكة والحياة الآخرة ولكنهم يفسرونها تفسيرا قد يختلف عن التفسيرات والمعتقدات الشائعة المتعلقة بهذه الظواهر. وتؤكد المراجع البهائية على إيمانهم بالحياة بعد الموت كمرحلة أساسية لاستمرار حياتهم الروحية ولكنهم لا يؤمنون باستمرار الحياة الجسدية أو المادية للفرد بعد الموت.

* * *

ثالثاً ـ القاديانية:

تنتسب هذه الفرقة إلى ميرزا غلام أحمد القادياني، نسبة إلى قاديان إحدى مدن إقليم البنجاب، وقد أنشأ غلام مجلة تنطق باسمه وتعبر عن مذهبه المحموم أسماها مجلة الأديان، بالإضافة إلى تأليفه مجموعة من الكتب التي تعبر عن آرائه المختلفة منها أنوار الإسلام، وبراهين الأحمدية، ونور الحق، وحقيقة الوحي، وشهادة القرآن، وتحفة الندوة.

وكسابقيه ادعى ميرزا أحمد بأنه المهدي المنتظر، بالإضافة إلى أنه كمن سبقوه إلى الفتنة سانده الاستعمار ودعم أفكاره وآراءه لاسيما الاستعمار البريطاني، حتى اتهم علانية بأنه عميل للإنجليز، وخادم مطيع للاستعمار، ومارق عن الإسلام. وكان هذا نتيجة طبيعية لما قام به من أعمال وأفكار كقوله بأن التوراة والإنجيل ليسا محرفين، بالإضافة إلى أنه قام بتأويل القرآن الكريم حسب هواه، لذا فقد أنكر المعجزات وخوارق العادات عند تفسيره للقرآن، بل ذهب بعيداً برأيه حينما أقر في تفسيره بأن النبوة غاية يمكن تحصيلها واكتسابها عن طريق الترويض النفسي.

وكما أسقط الباب الصلاة، وأسقط البهاء فريضة الحج، أسقط القادياني فريضة الجهاد في سبيل الله، وطبعاً هذا كان لحساب الاستعمار البريطاني. ومن غريب رأيه أنه فسر خاتم النبيين محمداًﷺ بأنه خاتم النبيين أي طابعهم، فكل نبي يظهر الآن بعده تكون نبوته مطبوعاً عليها بخاتم تصديقه.

ونكتفي بعرض نص واحد يشير إلى هذا المعنى: " لا ننكر أن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) هو خاتم النبيين ولكن الختم ليس المراد به ما يفهمه السواد الأعظم من الناس إذ هو يخالف كل المخالفة عظمة الرسول الكريمﷺ وجلالة شأنه وعلو منزلته، أليس معناه أن النبيﷺ قد حرم أمته من نعمة النبوة العظمى بعده".

وليس هذا التجاوز فحسب، بل يدعي القاديون بأنه ليس من الممكن أن يأتي نبي واحد فقط بعد النبيﷺ، بل من المحتمل أن يأتي مئات وألوف من الأنبياء. وادعى ميرزا أحمد أن روح المسيح قد حلت فيه، كما ادعى أن محمداًﷺ كذلك حل فيه، فتجمعت فيه روح عيسى ومحمد، ولذلك فهو نبي.

* * *

رابعاً ـ الشيوعية:

سعت الشيوعية منذ فجرها البغيض أن تحطم الملكية الفردية، ومحو الدين والاعتقاد من نفوس الناس، بالإضافة إلى سعيها الدءوب في الكفر بالله واليوم الآخر، وإيقاد نار الحرب الشرسة بين الطبقات المختلفة.

والشيوعية بالرغم من طابعها الاقتصادي الاجتماعي إلا أنها حركة استهدفت هدم الأديان والكفر بها، وفرض مبادئها عن طريق التخريب لا سيما تخريب العقول. وتتميز الشيوعية عن بقية التيارات والفلسفات الإلحادية المعاصرة بأنشطتها المتعددة وسياساتها المتنوعة لسلب العقول تحت مسميات اقتصادية.

وتعد الشيوعية مذهباً مادياً، أي أنه يؤمن بالمادة وحدها، ويرى هذا التيار أن جميع الحركات والثورات التاريخية والأحداث الاجتماعية والفتوحات الدينية كانت لغرض مادي واستهدفت التملك والتوسع والغزو لغرض الغزو فقط. وعملت الشيوعية منذ قيامها النظري على إماتة الشعور الوطني وإيقاظ العاطفة المهنية.

وموقف الشيوعية تجاه الدين واضح لا خفاء فيه، فهم ينكرون الله، ولا يؤمنون بوجوده من الأساس، فهذا لينين الزعيم الروسي يكتب عن ذلك فيقول: "إن البحث عن الله لا فائدة منه، ومن العبث البحث عن شئ لم يخبأ، وبدون أن تزرع لا تستطيع أن تحصد، وليس لك إله لأنك لم تخلقه بعد، والآلهة لا يبحث عنها وإنما تخلق".

وإذا نظرت إلى عبارة (كارل ماركس) القائلة بإن الدين أفيون الفقراء لأدركت على الفور نظرتهم وموقفهم إزاء الدين بصفة عامة، ويعلل أنصار الشيوعية انتشار الأديان والاعتقاد بوجود إله خالق يدبر هذا الكون، بالجهل الذي عاش فيه الإنسان في العصور البدائية، حيث وقف عاجزاً حائراً أمام الظواهر الطبيعية، كالرعد والزلازل والبرق والعواصف والأمطار

والفيضانات، وكان جهله بأسبابها يجعله يردها إلى إرادة عليا غيبية يسعى إلى كسب رضاها بالصلاة والدعاء والقربان والابتهال.

ويذهب (لينين) برأيه في الأخلاق حيث يراها مجرد وسيلة لحفظ المجتمع فقط، فيقول: "علينا أن نكون مستعدين لكل لون من ألوان التضحية، وإذا استلزم الأمر فإنا نمارس كل شئ ممكن، فالحيل وفنون المكر وكل الأساليب غير الشرعية جميعها مباحة، وكذلك السكوت عن الحق، وخلاصة القول أننا نستخلص الآداب والأخلاق من مصالح حرب الطبقات".

ويشير فضيلة الشيخ محمد عرفة (٢٠٠٩) إلى أن الشيوعية لا تزال تقيم حرباً شعواء على الدين، وهذا ما أكده المؤتمر الدولي السادس للشيوعية الذي عقد عام (١٩٢٨م) والذي جاء فيه بالنص ما يلي: "الحرب ضد الدين تشغل مكاناً مهماً بين أعمال الثورة الثقافية، ويلزم أن تستمر هذه الحرب بإصرار وبطريقة منظمة، وحكومة العمال تعترف بحرية الضمير، ولكنها في الوقت نفسه تستعمل كل الوسائل التي تملكها للقيام بدعاية ضد الدين، وتنظم التربية على أساس التصور المادي للدنيا".

وكثيراً ما يقف الإنسان عاجزاً وغير قادر على تفسير هذا العجز البشري للعقل الذي منحنا الله إياه، وزودنا بداخله بقدرات وطاقات فكرية هائلة تستطيع التحليل والتفسير والتأويل والمقارنة، وكلما فكرت كيف هرول الآلاف من العرب المسلمين نحو هذه الأفكار الشيوعية تاركاً ما في الإسلام من قيم التعاون والإخاء والتكافل الصحي السليم، ونزحوا

إلى أفكار من شأنها تعمق الحقد في نفوس الطبقات المختلفة لاسيما العمال، مما دفعهم إلى الانتقام من أصحاب رؤوس الأموال.

ويزداد الأمر غرابة واستعجاب حينما نجد عشرات المثقفين المستنيرين وهم يساندون هذه التيارات التي تؤمن بأن كافة الحركات الدينية والتيارات الإصلاحية والثورات السياسية التاريخية أساسها اقتصادي محض، وأنه يجب عدم الاكتراث بالأخلاق والآداب والقيم بل وجب محاربتها من أجل حماية ثورة العمال، ولذا ليس بغريب أن نرى الشيوعية تنهار وتنقضي أركانها في مهدها ومقر نشأتها.

وبدلاً من أن يوجه أنصار هذا التيار الفلسفي العامة إلى ما في الدين من قوة سحرية طاغية نحو السلم والسلام والطمأنينة والاستقرار النفسي والمجتمعي، قاموا بإثارة الأحقاد والفتن بين الطبقات من أجل خدمة مصالحهم الاستبدادية تحت مزاعم التقدمية والحداثوية.

وفي الشيوعية المذلة نجد عبادة الإنسان للإنسان، حيث إنهم يجاهدون في نفي وجود الله واليوم الآخر، والسخرية المطلقة من رجال الدين، والولوج في عجلة العمل الذي أقره الشيوعيون عبادة لهم بحجة أن الدين يدعو إلى الاستسلام والزهد والتراخي والتكاسل، لذا فهم يقرون بعبادة العمل ليس بمعناه الإسلامي الشريف، إنما من أجل محو أي خصوصية للفرد تميزه عن أقرانه وشركائه في المجتمع.

وبالرغم من أن الشيوعية تيار اقتصادي في المقام الأول، إلا أن آثارها على المستوى الديني والأخلاقي الإنساني رهيبة وخطيرة جداً، فمن

أجل تحقيق أغراضها في نفي الملكية الخاصة وإشاعة الملكية العامة دون ضوابط عملت بذلك وبقصد ووعي شديدين في تخريب الاقتصاد القومي، وإفساد العلاقات الاجتماعية بين الطبقات التي ادعت أنها جاءت لتحميها من شرور أصحاب رؤوس الأعمال، ونشرت اللاأخلاقية في سلوك الأفراد، علاوة على الحجر على التفكير السليم القويم.

والدين الإسلامي الحنيف يؤكد في ماهيته محاربة الكراهية والتشاحن والبغضاء بين الناس كافة والمسلمين بصفة خاصة، والنبيﷺ يؤكد ذلك في أكثر من موضع وحديث، مثل قوله ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه"، وقوله ﷺ: "مثل المؤمن في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"، وأكد وأقر الرسول الكريمﷺ على إخوة المسلم للمسلم بقوله: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ههنا، ويشير إلى صدره ثلاثاً، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه".

أما الشيوعية فعلى النقيض من النهج النبوي الشريف، نجد تسخيراً جماعياً للأمة، وعصابة كبيرة تسعى لإلغاء الملكية الفردية عن طريق استخدام عبارات رنانة خادعة، تتستر من ورائها غرائز النهم والجشع والفساد والتخريب، وكأن الشيوعية استبدلت ما يعرف قديماً برق وعبودية الفرد إلى رق وعبودية الجماعات.

* * *

الفصل الثاني

مطاعن الملاحدة

تمهيد:

عليك أن تكتب كلمة إسلام باللغة الإنجليزية **Islam** في أي محرك بحث إليكتروني باللغة الإنجليزية لتدرك حجم وقدر الهجمة الشرسة التي يوجهها أعداء الإسلام له، وإذا أراد الباحث الإسلامي أن يعد دراسة علمية حول حملات التشكيك في الدين الإسلامي فلسوف يحتار كثيراً عندما يجد كماً هائلاً من الكتب والدراسات والمراجع والمواقع الإليكترونية التي تكيل التهم المتنوعة للعقيدة الإسلامية.

ونظراً لما تتسم به الدراسة الحالية من سمات التبسيط والقصر في العرض لأجل إذابة الملل من ناحية، ولأجل الإحاطة السريعة الشاملة للقارئ من ناحية أخرى، يقتصر هذا الفصل على عرض سريع غير مخل بمطاعن الملاحدة التي وجهها أولئك للإسلام، مع بيان أوجه الافتراءات والادعاءات الكاذبة نحو العقيدة الإسلامية.

والملفت للنظر أن الهجوم على الإسلام والقرآن الكريم والنبيﷺ ليس جديداً، بل بدأ منذ ظهور فجر الإسلام وحينما قويت شوكته ازداد الهجوم الضاري عليه، وفي هذه الآونة أصبح الغرب بصفة عامة مصاب بمرض الإسلاموفوبيا، بل إن زيادة دخول الغربيين في الإسلام شكل للبعض

الآخر من غير المسلمين هوساً بالتفكير في هذه العقيدة الفريدة القادرة على الصمود والرسوخ في ظل استعار الرأسمالية، وانحلال القيم والآداب والتقاليد والأعراف.

مطاعن الملاحدة في القرن التاسع عشر:

بدأ الملاحدة والمستشرقون في مطاعنهم بصورة مخططة ومنظمة نحو الدين الإسلامي منذ منصف القرن التاسع عشر، وتجسدت تلك المطاعن في نقاط محددة نوردها في النقاط الآتية:

. خطر الإسلام على الحياة العامة.

. خطر الإسلام على النشاط الفكري والثقافي.

. خطر الإسلام على الحياة العلمية.

. خطر الإسلام على الحياة العامة:

رأى أعداء الإسلام من الملاحدة أنه يشكل خطراً جسيماً على الحياة العامة، وأنه يقف حجر عثرة في طريق التقدم الاجتماعي للمجتمعات المدنية، وأنه يكدرها ويعكر صفوها، لأنه يحرم على الناس شهواتهم ويقمع غرائزهم. والإسلام في حقيقة الأمر خلاف ما يزعمون، فهو يدعو إلى تقدم البشرية بصفة عامة، كما أنه يضع قواعد وضوابط شرعية في صالح البشرية. والرائي يستطيع أن يدرك مقاصد الشريعة الإسلامية من سمو الأغراض وشرف الغايات.

فالإسلام استطاع أن يستبدل الحاجات المادية التي تجعل المرء عبداً

لها بروابط روحانية قائمة على مبادئ راقية وأصول ومرتكزات ثابتة أصيلة. والحقائق التاريخية تؤكد وتشير إلى الروابط الاجتماعية القوية التي سادت المجتمع الإسلامي منذ ظهور الإسلام الحنيف.كما أن الإسلام قد أقر مجموعة من الأصول والواجبات التي يقوم عليها الاجتماع والتعارف والمشاركة الحياتية العامة.

بل واستطاع الإسلام التوفيق بين المصالح الدينية للمجتمع، وبين مصالحه الدنيوية، بحيث تتكافل في إيصاله إلى كماله المادي والأدبي، ويمكننا إدراك هذه الحقيقة المطلقة من خلال حياة الصحابة الكرام، حيث استطاعوا بالإسلام وتعاليمه السمحة في التوفيق بين السمو الديني وروح العمل الدنيوي دون خلل أو نقص أو عيب.

ودون أن نخوض مع الخائضين في مسألة الدولة الدينية والدولة المدنية، التي يراها بعض العلمانيين متناقضتين تماماً، فإننا نؤكد أولاً أن ما خطر بأذهان هؤلاء الموتورين أن المدنية في معتقدهم تعني الملاهي والمراقص والفتن التي لا ضوابط لها، وأن الدين هو زهد وتقشف وحرمان، وهذا افتراء موجه للإسلام. فالإسلام ينطبق عليه المثل الأعلى للمدنية، ويزيد عليه سمواً، فهو يدفع الإنسان للتجرد من الأحوال البهيمية، والتخلق والتحلي بالأخلاق الإلهية في أسمى ما يتخيله العقل من نزاهة ورفعة روحية.

وكما فتح الإسلام للنفس البشرية باب الارتقاء الروحاني على مصرعيه، ووسع مداه إلى ما لا يصل إليه خيال المتخيل، فتح كذلك لها باب الارتقاء المادي، فلم يحرم عليها علماً نافعاً، ولم يضع للعلوم حدوداً،

كما يشير فريد وجدي إلى أن الإسلام استنهض الهمم للشئون الصناعية، والإبداعات الفنية، وعد الارتقاء في هذه المجالات فتوحاً إلهية يثاب عليها الموفق لها ثواب العاملين على ترقية الإنسانية.

ـ خطر الإسلام على النشاط الفكري والثقافي:

سعى الملاحدة منذ بداية حملتهم المسعورة إلى تشويه الإسلام بأنه يخالف وينافي الحياة الثقافية والنشاط الفكري، وأنه يقف عائقاً ضد الأفكار المستنيرة الحرة. ولاشك أن الإسلام هو الدين السماوي الوحيد الذي أعلى من شأن العقل والفكر الإنساني، ورفع من مكانته، فالعقل هو مناط التكليف والمسئولية، وبه يعرف الإنسان خالقه ويدرك أسرار الخلق وعظمة وقدرة الخالق.

وإذا كانت التيارات والفلسفات الإلحادية سالفة الذكر قد حرمت الإنسان من حق وحرية النظر والتفكير، فإن الإنسان الحنيف دعا المرء إلى ضرورة استخدام النظر والتفكر غي نفسه والكون، بل عاب على أولئك الذين لا يعملون عقلهم ويعطلون قدراتهم التفكيرية، يقول الله تعالى ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾.

بل سبق الإسلام موجات هادمة للتفكير وحجب النظر والتدبر والتعقل، فجاء مدحضاً هذه الأفكار، داعيا الناس كافة إلى ضرورة النظر العقلي والاعتماد على الحجة والبرهان. يقول الله تعالى: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين * وفي أنفسكم أفلا تعقلون﴾. بل ويدعو القرآن الكريم

الإنسان إلى ضرورة النظر في مخلوقات الله وظواهره وإعمال العقل، يقول تعالى: ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه* أنا صببنا الماء صباً* ثم شققنا الأرض شقاً* فأنبتنا فيها حباً * وعنباً وقضباً* وزيتوناً ونخلا* وحدائق غلبا* وفاكهة وأبا، متاعاً لكم ولأنعامكم﴾.

والقرآن الكريم يزدحم بالشواهد والآيات التي تحث الإنسان على ضرورة التفكير وإعمال العقل والتدبر والنظر والاستدلال، كقوله تعالى: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت* وإلى السماء كيف رفعت * وإلى الجبال كيف نصبت* وإلى الأرض كيف سطحت﴾.

ـ خطر الإسلام على الحياة العلمية:

رغم حصول كثير من العلماء المسلمين على جوائز علمية في مجالات التكنولوجيا والطب والعلوم الفيزيائية والكيميائية، إلا أن ملاحدة هذا الزمان لا يزالون أن الإسلام يحارب العلم والعلماء، بل يمثل عقبة تاريخية في وجه تقدم العلوم والتقدم التكنولوجي، وأنه عقيدة جهل وتخلف. والتاريخ يؤكد أن علماء المسلمين لهم أياد بيضاء على الحضارة الأوروبية والنهضة العلمية في الغرب، وللأستاذ العقاد كتاب في ذلك يوضح فضل الإسلام والمسلمين على النهضة الأوروبية. ونذكر من التاريخ الإسلامي ما قام به أبو جعفر المنصور حينما نقل عاصمة الملك إلى بغداد وجعلها عاصمة العلم والعلماء، وبذل جهداً كبيراً في تطوير مدارس الطب والعلوم، أما هارون الرشيد فقد أضاف مدرسة إلى كل مسجد في جميع أرجاء ملكه

ولن نغالي حينما نقول بإن الإسلام قد أعلى من شأن العلم،

والتشديد على أهميته ودوره في رقي المجتمعات والأمم، يقول الله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وألو العلم قائماً بالقسط﴾. كما أن الله ـ تبارك وتعالى ـ رفع من قدر العلم ومكانة العلماء حين يقول في كتابه العزيز: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾.ويشير القرآن الكريم إلى أن الله يرفع العلماء مكانة في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾.

ويستحضرني موقف من السيرة النبوية لصاحبها ﷺ، فلقد روي عن أسامة بن شريك (رضي الله عنه) أنه قال: "أتيت النبيﷺ وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير، فسلمت ثم قعدت، فجاء الأعراب من ههنا وههنا، فقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ قال: تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد: الهرم". وهذا يؤكد أن الإسلام متمثلاً في نبيهﷺ لا يحارب العلم والطب، بل يسعى إلى الأخذ بالأسباب، فقرن الفعل بالقول، حتى يكون الأمر في علم الطب قولاً صريحاً، أنه علم بالداء، وعلم بالدواء، وأن الدواء له أثره في الشفاء.

مطاعن الملاحدة في القرن الحادي والعشرين:

لم يأنف الملاحدة جهداً في حملتهم المسعورة ضد الإسلام والمسلمين، بل ودفعهم غرورهم العلمي أن ينكروا وجود الله، ولقد بذلوا جهوداً مضنية في الكيد والنيل من الإسلام والقرآن الكريم بوصفه دستور المسلمين، ويمكننا حصر بعض تلك المطاعن والمزاعم في مسائل وشبهات محددة، هي كالتالي:

- الإسلام ملفق من الديانات السابقة.
- الإسلام يدعو إلى التواكل والسلبية.
- الإسلام يظلم المرأة ويهضم حقوقها.
- الإسلام يحارب الفنون.

الشبهة الأولى ـ الإسلام ملفق من الديانات السابقة:

بادر الملاحدة والمستشرقون في سلب خصوصية الإسلام وانفراده المتميز المتمثل في القرآن الكريم، وادعوا أنه دين ملفق من كتب سماوية وعقائد دنيوية سابقة. ولنا أن نسأل هل كان معاصرو النبي محمدﷺ ومعارضوه في غفلة عن هذا وقت بزوغ فجر الإسلام ؟. بالطبع كان هؤلاء موجودين، ولكن لم يستطع أحد منهم أن يذكر قرينة واحدة على قولهم هذا، بل لهم نقول إن الإسلام جاء بتعاليم ومبادئ وقوانين لم تشملها الكتب السماوية السابقة، بل الإضافة إلى ما تمتع به القرآن الكريم من مزية فريدة اختص بها وهي الإخبار عن الأمم السابقة، والحديث عن أمور غيبية حدثت بعد ذلك.

الشبهة الثانية ـ الإسلام يدعو إلى التواكل والسلبية:

لم يجد ملاحدة العصر الحديث من شبهات يلصقونها بالإسلام فادعوا كذباً بأن الإسلام عقيدة تدعو إلى التواكل والسطحية واللامبالاة تجاه المتغيرات الحياتية والمجتمعية، ومن يقرأ القرآن الكريم ويتدبر معانيه وآياته الحكيمة يتأكد أن الإسلام دين يحث على العمل، ويدفع الإنسان نحو،

والمطالع لآيات القرآن يدرك ويفطن الربط المستدام بين الإيمان والعمل، يقول الله تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾.

والقرآن يحث المؤمنين على العمل حتى في أوقات الراحة، وأقصد يوم الجمعة، فيقول الله تعالى في ذلك: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾. فأين هذا التواكل الذي يلصقه الملاحدة بالإسلام والمسلمين؟. والسنة النبوية لصاحبها ﷺ تحث على العمل والسعي الدءوب غير المنقطع من أجل عمارة الأرض، يقول الرسولﷺ: "إذا قامت الساعة في يد أحدكم فسيلة فإذا استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل". بل ونجد الرسول الكريمﷺ يضرب مثلاً أعلى في الدعوة إلى العمل حيث رفض انقطاع الناس للعبادة في المسجد واعتمادهم على غيرهم في المأكل والمطعم والمشرب والملبس، وامتدح من يعمل ويكد من كسب يده بشرف وأمانة وتقوى ومراقبة من الله تبارك وتعالى.

ولقد خلط أولئك الملاحدة بين التوكل الذي يعني تدبر الأمور والأخذ بالأسباب والتزود بالطاقة الروحية والعبادة، وبين التواكل الذي يعني الكسل وعدم الأخذ بالأسباب والوسائل المعينة. وكلنا يعرف كيف طرد الفاروق عمر بن الخطاب أولئك المتواكلين المنقطعين للعبادة في المسجد معتمدين على غيرهم في رعايتهم وقضاء شؤونهم، وقال عبارته المشهورة: "إن السماء لا تمطر ذهباً"، واستشهد في ذلك بحديث النبيﷺ الذي يقول فيه: "لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطانا ".

وليس هذا فحسب بل جعل الإسلام العمل المفيد من أسباب الثواب وزيادة الحسنات، وقد ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تتعلق بهذه المعاني ومن ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾، كما أن السنّة الشريفة تضمنت العديد من النصوص التي تحث على العمل والكسب الحلال مثل قول الرسولﷺ: "ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده"، وقولهﷺ: "من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له".

الشبهة الثالثة ـ الإسلام يظلم المرأة ويهضم حقوقها:

تشير أصابع الملاحدة بالاتهام خفية وعلانية بأن الإسلام معاد حقيقي للمرأة، وأنه هضم حقها، وأغفل حقيقتها ودورها التاريخي قبل الإنساني. والمجال غير متسع لعرض وضع المرأة قبل الإسلام، وما كان عليه النكاح من صور أكثر وحشية وهمجية واحتقاراً لها من نكاح استبضاع، إلى نكاح الرهط، مروراً بنكاح صواحبات الرايات، انتهاءً بنكاح الشغار والبدل والضغينة.

ولا شك أن موقف المرأة كان صعباً في ظل التصور الإسلامي لبعض الصحابة، ورغم ذلك شاركت النساء في النضال اليومي للعيش والحياة الاجتماعية والاكتشاف اليومي لطبيعة الإسلام، فكن يعملن بالإضافة إلى اكتشاف أحكام القرآن والإسلام دون تمييز أو تهميش أو إلغاء، وهذا يدل على أن المرأة ليست هي العورة، بل إن العورة هي العورة، وهو ما فصله

رسولنا الكريمﷺ، فكانت المرأة تغزل وتنسج وتبيع ما تصنعه وسط مرأى ومسمع الجميع، وهذا يؤكد طبيعة المجتمع المدني الذي لا يميز أي فرد عن بقية أعضائه.

ولو أن الإسلام قد قوض مكانة المرأة، وسعى إلى تغييبها حضارياً لما سمعنا أسماءً بعينها من نساء الإسلام الصالحات، كالسيدة خديجة، والسيدة صفية، والسيدة فاطمة، وزينب بنت جحش، وأم أيوب الأنصاري، وجهيزة، وأم حكيم، وغيرهن كثيرات. ولابد أن نقر حقيقة تاريخية وهي أن الإسلام أنصف المرأة الإنصاف كله، وأزال عنها ما لحقها من ظلم، وحررها من العبودية واستغلال جسدها، ورفع مكانتها وأعلى منزلتها، في الوقت الذي لم يعترف الغرب بحقوق المرأة إلا في القرن التاسع عشر بعد جهاد طويل.

وعجيب جداً أمر هؤلاء الذين يقصرون حقوق المرأة في حجاب رأسها، وارتدائها للبنطال، ومشاركتها العمل وسط الرجال، وذهابها إلى صلاة التراويح، وغيرها من القضايا الجدلية لصرف الأنظار عن سماحة الإسلام وإتاحة الحرية للمرأة في معاملات البيع والشراء، والاحتفاظ بمالها، وقد أجاز لها حق التملك،وساوى بينها وبين الرجل. والله تعالى يقول في ذلك: ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فألئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا﴾.

والإسلام الحنيف لم يمنع المرأة من الجهاد والعمل، قال تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾، والتاريخ الإسلامي يحفظ أسماء الصحابيات اللاتي جاهدن في سبيل الله مثل الربيع

بنت معوذ التي قالت: كنا نغزو مع رسول الله نسقي القوم ونخدمهم ونداوي الجرحى، ونرد القتلى إلى المدينة.هذا بخلاف ما صنعه الإسلام للمرأة من حق الميراث وكانت لا ترث، وكذلك تحريمه لوأد البنات وهن صغيرات.

لكن معظم الملاحدة من العصر الحديث يضيقون النظرة نحو الإسلام ويصرون على إظهار الفروق القليلة بين حقوق وواجبات كل من الرجل والمرأة، ونؤكد لهم أن هذه الفروق المعدودة كما ذكر شيخنا محمد الغزالي احترام لأصل الفطرة الإنسانية وما ينبني عليها من تفاوت الوظائف، فالأساس قوله تعالى: ﴿ فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾.

وأكاد أجزم لهؤلاء الذين يؤكدون خفية وجهراً على أن الإسلام قد قهر المرأة، بأن أبين لهم أن الإسلام منح لها حق الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتدريس، بل ومجادلة الملاحدة والمارقين. لكن المحاربين ملتزمون بقضايا فتنة ذكر المرأة لاسمها، ووجهها العورة، وصوتها العورة، والكارثة أننا ابتلينا منذ فترة ليست بالقريبة بأناس لا يتدبرون القرآن، ويحرفون كلام رسول الله ﷺ عن مواضعه، فيبذلون قصارى جهدهم في إحداث فتنة حقيقية سلاحهم فيها المرأة.

لقد بنيت حقوق المرأة في الإسلام على أعدل أساس يتقرر به إنصاف صاحب الحق، وإنصاف سائر البشر معه، وهو أساس المساواة بين الحقوق والواجبات،وإذا كانت الدول المتقدمة اليوم تنادي بتمكين المرأة

اجتماعيا وسياسياً ودينياً،فإن الإسلام منذ أربعة عشر قرناً وثلاثين سنة قام بها وخير دليل بيعة العقبة الكبرى، ومن العجب ترك الزمام لهؤلاء الذين يصرون على جعل المرأة كائن غير طاهر، وهذا باطل، وأنها كلها عورة، وهذا باطل، وأنها كائن ناقص ـ ومن منا يتسم بالكمال والتمام ـ وأنها عديمة التفكير ولهم جميعاً أردد قول الشاعر:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

الشبهة الرابعة ـ الإسلام يحارب الفنون:

لايزال يصر الملحدون والمارقون عن الدين على أن الإسلام الجميل يحارب الفنون الجميلة ويرفضها ويحرمها تحريماً مطلقاً، ويشاركهم القول في هذا العلمانيون الذين لا يرون ـ لقصر نظرهم ـ في الإسلام خيراً.

والقرآن الكريم لم يغفل الحديث عن هؤلاء بتحدث عنهم بقوله تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القران أم على القلوب أقفالها﴾، فالقرآن ملئ بالصور البيانية والجمالية فائقة الروعة والتصوير، ومن يتمعن في آيات القرآن الكريم يدرك حجم التناسق والإبداع والإتقان في التصوير، ومن هنا فلا يعقل أبداً أن الإسلام الحنيف يرفض الفن ويحاربه إذا كان الفن جميلاً ومقبولاً.

والإسلام في هذا وضع ضوابط وشروطاً مهمة ومحددة لقبول هذا الفن، فإن كان هدفه الإمتاع الذهني، وترقيق وترقية الشعور، وتهذيب النفوس والأحاسيس دون خلل أو انحراف أو إثارة للغرائز المحمومة والشهوات، فلا اعتراض عليه. والملاحدة والعلمانيون يستغلون سذاجة

بعض الشباب البعيد عن دينه وينزلقون بهم في هاوية الحديث عن الفنون وصناعة التماثيل وإقامة المتاحف ولعب الأطفال المجسمة.

ويفاجئ علماء المسلمين هؤلاء الملاحدة بأن الإسلام أجاز إقامة المتاحف، وذلك على أساس أن الآثار سجل تاريخي يلزم المحافظة عليه لأنه من الضرورات العلمية. كما أجاز الإسلام الحنيف استعمال لعب الأطفال لتعليم الأطفال وتسليتهم.

وكلنا يحفظ بذاكرته الواقعة الشهيرة حينما دخل خليفة رسول الله أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) على ابنته عائشة زوجة الرسولﷺ ولديها جاريتان تغنيان وتضربان بالدفوف، فاعترض أبو بكر الصديق على ذلك، ولكن النبي رفض ما أبداه أبو بكر من احتجاج في هذا الصدد قائلاً: "دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد".

ومن المؤسف في هذه القضية، قضية الإسلام والفنون، أن بعض المسلمين انجرف وراء ملاحدة هذا العصر واكتوى بنار الشيوعيين والعلمانيين وترك هموم وقضايا وطنه الحيوية وأصبح بوقاً لهؤلاء المارقين، ألم نعي أننا في مرحلة صعبة وحرجة في تاريخ الأمة الإسلامية وعلينا أن نوحد جهودنا وطاقاتنا المهدرة من أجل خدمة الإسلام والرقي بالمسلمين؟.

التجليات الكبرى لإعلاء التربية الجمالية في الإسلام:

بين مشروعية الفنون الإنسانية وتحريمها بنصوص تراثية قاطعة تدور المعركة من جديد بين أنصار ورواد التنوير في الوطن العربي الذين لا يزالوا يتشبثون بمشروعهم النهضوي منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر،

وبين ما يحلو لي تسميتهم بأمراء النساء لكثرة اهتمامهم بل ولولعهم بفقه المرأة بنفس القدر بهوس الدعوة إلى الجهاد ضد الأنظمة العربية الإسلامية القائمة والفتوى بالتحريم للفنون أولئك أيضا الذين لم يتخلوا فقط عن طروحاتهم الراديكالية الأكثر تطرفا فحسب، بل اجتهدوا أيضا في توسيع دوائر جهالاتهم الإنسانية بتحريم كل ما هو جميل وإباحة كل ما يتعلق بهوسهم المستدام بجسد المرأة وصوتها وزيها والحصول على براءات اختراع لجهاد النكاح وجهاد الحب، وإطلاق العنان لدعوات الترويع والاغتيال والقتل لكل ما هو مخالف لفكرهم الذي تم توصيفه من جانب علماء الدين الأجلاء بأنه فاسد ومغلوط وبحاجة إلى تصحيح ومراجعة.

في الوقت نفسه نجد عشرات الأئمة وشيوخا منتسبين إلى أكبر مؤسسة دينية إسلامية في العالم الأزهر الشريف يؤكدون في صحائفهم وكتبهم الأكاديمية رهينة الحبس على أرفف مكتبات الجامعات فقط وكذلك بعض المواقع الإلكترونية محدودة الانتشار يؤكدون قيمة الفن في الإسلام، وأن الإسلام الحنيف القويم لا يتصادم مع الفنون الجميلة بكافة صورها، وعلى حسب نص قول أحدهم بأنه لا وجود ولا مكان ولا حيز مسافة ربما لمن يقول إن هناك تعارضا بين الفن والإسلام.

ولكن على الشاطئ الآخر الأكثر احتداما وعصبية وقلقا بشأن ترسيخ وجودهم غير الفطري في المجتمعات الإسلامية الصحيحة يرون تحريم كل صور الفنون وأشكالها وصانعيها أيضا، وهؤلاء وصل بهم الأمر إلى تحريم دمى الأطفال الصغار ومنع الصور المصاحبة لقصص الناشئة أيضا

بجانب الفتوى القطعية بتحريم أفلام الكارتون للصغار فقط هم يدشنون حروبهم من أجل خلافة واهية لا أساس لها سوى نصوص تراثية كتبها أشخاص ينتمون لعصور بائدة هم أنفسهم أسهموا في إسقاط دولة الخلافة الإسلامية بخروجهم الزمني عن أحداث العصر الذي عاشوا فيه.

وبين الفريقين ـ حقا ـ تدور معركة حامية الوطيس إن جاز استخدام تعبير تراثي غير متداول لكن إنها معركة بين فريق على إصراره في شهود الإنسانية وحضورها، وفريق آخر يبدو أن لا نهاية لهوسه بالتحريم.

ولقد اتفق المتخصصون في مجال الفنون على تقسيمات مميزة للفن عبر عصوره التاريخية، حتى أصبحت هذه التقسيمات متغلغلة في الوعي الجمعي لدى أفراد المجتمع العربي الضارب في اتساعه الثقافي والأيديولوجي والانتماء المذهبي أيضا باختلاف تكوينهم وتأسيسهم الفكري الأمر الذي يزيد من المشهد الراهن اضطرابا وغموضا، ومن هذه التقسيمات ما عرف بالفن الإسلامي الذي امتلك خصوصية ميزته عن باقي التصنيفات والتقسيمات التاريخية للفن عبر العصور. وقصد بالفن الإسلامي وفقا لزعم الخبراء والمتخصصين أنفسهم ذلك المنتج الذي تم إبداعه منذ الفتوحات العربية للأقطار والأمصار والذي اتسم بطراز إسلامي لم يخل من العمارة ذات الطابع الديني أو المتعلق بالرموز والإشارات الدينية مثل الخطوط العربية والنقوش المختلفة لها، وكذلك رموز خاصة مثل الهلال أو العرائس الصغيرة التي توضع داخل مجسمات وهياكل علاوة على الرسم العثماني للقرآن الكريم الذي حفلت به كافة العمارة الإسلامية.

ولاشك أن الفن الإسلامي لعب دوراً كبيراً في الحفاظ على التراث المادي للثقافة العربية والإسلامية هذا الشأن الذي يعكر صفو كافة التنظيمات الجهادية في الشرق الأوسط فقد برعت تلك التنظيمات في تدمير كل مظاهر الشهود المعماري العربي بحجة أنها تمثل ملمحا من ملامح جاهلية العصر، فلقد مثل هذا الفن عبر عصوره جزءاً من ذاكرة الثقافة البصرية المرتبطة بتاريخ الإنسان العربي في بيئته، وهذا المنتج العربي الخالص كان يقف وراءه مبدع تشكيلي يتسم بالإبداع والجدة والأصالة، يستعين بكافة الطقوس الإسلامية الفريدة لتغليف منتجه الإبداعي الذي مثل خصوصية فريدة.

ويكفي المرء أن يطالع عملاً فنياً مصبوغاً بإشارات وطقوس إسلامية عربية حتى يتبين طبيعة وكنه هذا العمل، والذي كان يحمل عدة وظائف نفعية وجمالية، حيث إن الإنسان العربي قديماً كان يحتاج إلى الجمال الذي يحقق له ثقة وتميزاً وإشباعاً للوجدان.لكن للأسف كل يوم وليلة نشاهد هذا التدمير الداعشي الخبيث بكافة مظاهر المعمار الإسلامي الفريد الذي لم يتكرر لأسباب تتعلق بظروف الثقافة العربية المعاصرة.

ولم يقتصر الفن الإسلامي على الفنون التشكيلية المتعلقة بالمعمار أو الرسم بل تجاوز ذلك ليشمل فنوناً أخرى مثل الموسيقى والغناء وما يرتبط به من إيقاع جسدي يمكننا أن نطلق عليه على استحياء كلمة الرقص، ومن هنا تأتي المشكلة التي قد يواجهها الفن الإسلامي في المرحلة المقبلة والتي تشهد تصاعداً كبيراً للتيارات الدينية السلفية والتي ترى في الفن حرمة وبدعة.

فكتب معظم إن لم تكن كافة الجماعات الراديكالية بدءا من الجماعة الإسلامية التي انفجر تكوينها في سبعينيات القرن العشرين وزاد انفجارها بتكوين وتأسيس فرق صغرى عنها مثل جماعة التكفير والهجرة والسلفية الجهادية حتى انتهى بنا المشهد إلى التسليم بوجود تنظيم داعش الإرهابي تؤكد على حرمة الفن بل تذهب بفكرها القمعي المتطرف بعيداً بأن الفن شرك بالله وكفر بين، ومن هذا المنطلق فجميع الفنون حرام لأنها أولاً تلهي عن ذكر الله، بالإضافة إلى أنها من وساوس الشيطان التي تبعد المرء عن ربه، وبشأن فتاويهم دار الجدل الطويل بين المتزعمين لتكفير الفنون، وبين المستنيرين من رجال الدين الذي لا يرون حرمة أو شركاً في الفنون التي تبعث الجمال بالوجدان وليس من شأنها أن تبعد المرء عن ربه في عباداته وفرائضه المكتوبة.

ولكن تجد في سياق الكتابات الأصولية المعاصرة من يشير إلى وجود ما يسمى بالفن الإسلامي ولكن متجنبين كلمة الفن ليضعوا مكانها كلمة عمل هذا مع اختلاف توجهات أصحاب هذه الكتابات التي قد تشير إلى الفن باعتباره ثمة خطوط وتصاميم تشبه الأرابيسك فحسب، وهم يقصدون بالطبع العمارة الإسلامية التي تتمثل في النقوش والزخارف والرسوم المجردة من التجسيد، لذا فلا وجود للأنواع الأخرى من الفنون التي ارتبطت بالفن الإسلامي مثل الرسم والنحت والموسيقى وأخيراً الغناء أو الإنشاد.

ولا يستطيع منكر أن ينسى الدور الذي لعبه الفن الراقي البعيد عن المشاعر الرخيصة المبتذلة، حين ساهم في تأجيج مشاعر الكثير من البلدان

العربية وقت مشاهداتهم التاريخية من انتصارات أو أعياد أو ما تزامن وقت ثورات الربيع العربي حيث كان الفن من تصوير وموسيقى خصيصة رئيسة في المشهد الثوري آنذاك، وكم كان الفن باعثاً لاستمرارية تلك الاحتجاجات والانتفاضات والثورات ورغم ذلك الحضور الطاغي للفن لم نجد ساعتها من أولياء التيارات الدينية من يحرمه أو أن ينكر دوره بالقول أو بالفعل.

هذا ما يؤده تأريخ تلك الفترات حيث كمون فتاوى التحريم وتعطيل العمل بقانون الرفض والتجريم والتفسيق الجاهز لدى تلك التيارات والجماعات، هي فقط جديرة وماهرة في القفز على مكتسبات الفعل الشعبي الجمعي واقتناصها بعيدا عن طموحات الوطن وآماله.

لكن، ماذا يحدث لو تمكنت تنظيمات الراديكالية مثل تنظيم داعش من افتراس المدنية ووجوه الثقافة الجمالية، وسقطت الأوطان والمجتمعات في أيدي هذه التيارات المتشددة ؟ هذا سؤال لابد وأن يطرح استشرافاً لمستقبل قد يبدو غامضاً بعض الشئ، ولا يستطيع شخص أن يتنبئ بإحداثيات هذا الشرق المسكين ثقافيا وتنويريا في ظل حالات الالتباس والغموض التي تعتريه. فهل حينئذ سيتم القضاء على هذا الرصيد التاريخي للفن في كل دول العرب؟ وحينما أتكلم على الفن لا أشير إلى الفنون الاقتصادية تلك التي تستحوذ على ما في جيوب العوام المستهلكين للثقافة بغير انتاجها من نقود مثل السينما والغناء التجاري والمسرح الاستثماري، بل الفن في منحاه غير الاقتصادي مثل الرسم والنحت

والأشغال الفنية والفنون الشعبية والموسيقى التي لا تستهدف الربح.

وهؤلاء المنتمون لهذه الفنون الجميلة بالطبع يعانون من أزمة الاستبعاد الاجتماعي من الأساس فلا تراهم في برامج التوك شو، وربما تتعمد الفضائيات العربية واسعة الانتشار في استضافتهم إلا في أوقات عادة ما يكون جهاز التلفاز مغلقاً كساعات العصر المنسية، أو بعد الثالثة صباحاً، وبالتالي لن يشاهد الفنان سواه منفرداً بالجلوس على مقعده وهو يتجرع أحزانه.

وظاهرة تحريم الفن وإقصائه من الوجود الإنساني لم تكن حاضرة اليوم فقط، بل كلنا لا يزال يتذكر ما شاهدناه منذ فترة ليست بالوجيزة زمنيا في مدينة الإسكندرية المصرية من تغطية لبعض التماثيل التاريخية في إحدى اللقاءات الدينية لشيوخ السلفية لهو خير دليل على مستقبل آت، يحرم فيه الفن الجميل، ولست أدعي رغم كوني متخصصاً في الدراسات الإسلامية بأن وجود تلك التماثيل وغيرها لا تدخل في باب التحريم من منطق الاجتهاد، أولاً لأننا لا نعبد مثل هذه التماثيل والحمد لله منذ بزوغ الإسلام، ثانياً أن هذه الأعمال الفنية هي خير شاهد على حقبة تاريخية مرت واستقرت بمصر المحروسة وجزء من ماضيها الذي لم نشاهده رأي العين. لكن تظل المشكلة ذهنية وزمنية لدى هؤلاء نظرا لتوقف عجلة الزمن بهم عند نص تراثي أنتجه شخص في ظروف معينة وتوقيت يصعب معه تأويل الحاضر بالماضي.

وإذا كان المنتمون للتيارات المتشددة دينياً يدركون أن هناك وجوداً لا يمكن طمسه اسمه الفن الإسلامي، فكيف يجوز لهم بعد ذلك طمس

معالم هذا الفن الذي كان ضمن سياق الحضارة الإسلامية في أزهر وأزهى عصورها، وتكفي شهادة عالمين أثريين هما (دوجلاس بريور) و (إيملي تيتر) حينما أكدا انفراد الإنسان المصري في صبغ جميع ألوان الفنون، وأن الهوية المصرية تبدو ثابتة في كافة الفنون التي أنتجتها الحضارة الإنسانية.

وإذا كنا غير مشاركين للدولة العثمانية حينما قررت أن تنقل الصناع المهرة إلى الأستانة لتشييد حضارة عالمية هي تركيا الآن، فإننا نبدو الآن أكثر تخاذلاً حينما نصمت ونحن نرى بعض مظاهر القمع المتمثل في فتاوى داعش تجاه الفن الراقي النظيف والبعيد عن الابتذال والعهر.

وعودة إلى تأريخ معاصر بعض الشئ، تحديدا في مطلع شهر فبراير من العام ٢٠١٢م أي في ظل المد السياسي والتصاعد الشعبوي المحموم لتنظيم حسن البنا المعروف بجماعة الإخوان وأيضا فصائل التيار السلفي المتعددة، تناقلت معظم الوسائط الإعلامية خبرين مفادهما صدور حكم بحبس بعض الفنانين وتغريمهم ماليا نتيجة الدعوى القضائية التي اتهمتهم وقتئذ بالإساءة إلى الدين الإسلامي وازدرائهم له في أعمالهم السينمائية والمسرحية في بعض الأعمال السينمائية التي تم عرضها منذ عشرات السنين. والخبر الثاني هو الاعتداء على طاقم العمل الفني لمسلسل ذات عن رواية المبدع صنع الله إبراهيم التي تحمل نفس الاسم، والاعتراض جاء نتيجة لارتداء بطلات المسلسل ملابس لا تليق بالحرم الجامعي نظراً لأن المشاهد كانت تصور به. ولا أظن أن هؤلاء قد قرأوا نص الرواية التي خطها صنع الله إبراهيم والتي طالعتها منذ سنوات بعيدة وإلا رموا هذا

الرجل بالكفر ونشر الرذيلة والإباحية كما كان يفعل ذلك أباطرة التكفير مع عميد الرواية العربية نجيب محفوظ في القرن الماضي وفعلوها مع المفكر نصر حامد أبو زيد وأدونيس وكثيرين غيرهم.

والحق أقول إن من يدعي لنفسه امتيازاً للدفاع عن الإسلام فلينتبه إلى مزاعم المستشرقين ومطاعنهم في الدين، ومطاعن الاستشراق المعاصر ومحاولات تشويه الإسلام، أما المزايدات الإعلامية التي انتشرت ولا تزال تنتشر بخطىً وئيدة على استحياء الظهور نتيجة ارتفاع وهبوط موجة التيارات الراديكالية المتطرفة فهي محاولة لإيجاد مقعد وثير لفئات وطوائف وفصائل باتت محرومة من التواجد داخل أنساق المجتمعات العربية لفترات طويلة.

وكم هو مضحك عندما نشاهد ونحن أكثر ولعا بالفرجة بعض الفنانين أنفسهم أولئك المدعين بالانتماءات الدينية والذين قفزوا على مشهد استلاب الجماعة لحكم مصر بأنهم أعلنوا توبتهم عن أعمالهم التي قدموها، فماذا سيفعل إذن أولئك الموتورين حينما لا يجدون قضايا يدغدغون مشاعر البسطاء بها ويدخلونا في قضايا ترهق عقل الوطن الذي هو بحاجة ماسة لفكر واضح ورأي سديد.وليت هؤلاء الذين أعلنوا وصايتهم على نشر الفضيلة في المحروسة تيقنوا من حجمهم حينما علموا حجم وكم التيارات والائتلافات والحركات التي أعلنت تضامنها على سبيل المثال لا الحصر مع عادل إمام في قضيته التي لا محل لها من الإعراب في نص بات مشوهاً لغوياً أقصد مصر الجميلة وقتما أقيمت دعوى قضائية ضده بشأن ازدراء الإسلام.

وإذا كان المتشددون قد أضافوا لأنفسهم دوراً جديداً في المشهد الاجتماعي المعاصر وهو دور المخرج لذلك أعلنوا إنهاء المشهد الحالي، فكان عليهم أن يقدموا لنا تصوراً واضحاً في صورة مكتوبة عن رؤيتهم للفن، وإذا كان حراماً أو ضلالاً بائناً، فإنني أطالبهم بصفة استثنائية أن يقترحوا لنا بدائل ترويحية لا تخرجنا من باب الفضيلة ولا تزهق أرواحنا من الفتنة، وأعتقد أنهم لا يجيدون ذلك لأن من اعتاد الرفض والقمع لم يعتاد على التجديد والإبداع.

حقاً إن الفنون جميعها في مرحلة استثنائية في ظل هذا التصاعد غير المحمود للأفكار التي باتت غير صالحة هذه الأيام، الفنون التي تحيا في ظل الحريات بعض التيارات تحاول وأدها بطريقة مفجعة وحشية، لذا سيبقى هناك جدل واسع وصراع مستدام بين حالة راهنة؛ مبدعون يشكلون وجهاً لهذا الوطن، وأمير وخليفة واهم ارتدى ثوب المخرج متطرف لا علاقة له بالفن الخام ولا بما يتشابك مع جوهر الثقافة العربية، كل ما يعنيه هو أن يتقمص دور المخرج فيصرخ بصوت عال دونما علم أو رؤية: اقطع..

الفصل الثالث

خطة مواجهة التيارات الإلحادية المعاصرة

أصول العقيدة الصحيحة:

الحمد لله على نعمة الإسلام، فبالإسلام نعلو ونرتقي، وبالتوحيد تزدهر حياتنا وتسعد أمور دنيانا. ولقد من الله علينا بالإسلام ديناً ورسالة سماوية جليلة، نسأل الله التوفيق في حملها على أكمل وجه وأفضل صورة.

والسطور السابقة أشارت إلى الحملات الشرسة التي توجه نحو الإسلام، وأوضحت السهام التي تصوب خلسة وعلانية باتجاه صدره، ورغم هذا وذاك فالإسلام باق بشموخه وعظمته بفضل الله وحده، ومع هذا فواجب المسلمين أن يفطنوا إلى هذه المحاولات التي تريد النيل منه، وتعمل ليل نهار على الكيد له، والمسلم المؤمن بطبيعته واع ومبصر بحقائق الأمور.

لذا فمن الضروري أن نسعى لمواجهة التيارات والفلسفات الملحدة، وأن نتمسك بعقيدتنا الصحيحة التي يحسدنا أولئك الملاحدة عليها، فعقيدتهم باطلة لأنه لا أساس لها لذا حبط عملهم ومقصودهم، يقول الله تعالى: ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين﴾. ويقول تعالى أيضاً في محكم التنزيل: ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾.

وعقيدتنا الصحيحة السليمة تتركز على دعائم هي الإيمان بالله تعالى، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله الكرام، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وهذه المرتكزات هي أصول العقيدة الصحيحة التي جاء بها القرآن الكريم، وبعث الله بها رسوله محمداًﷺ.

وهذه الأصول السابقة أشار القرآن إليها في أكثر من موضع، مثل قوله تبارك وتعالى ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين﴾. وقوله تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل إيه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيدا﴾.

والأحاديث النبوية الصحيحة الدالة على هذه الأصول كثيرة ومتعددة، منها الحديث المشهور الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث الفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أن جبريل (عليه السلام) سأل النبيﷺ عن الإيمان، فقال له:"الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره".

والأصول السابقة للعقيدة الإسلامية هي أولى الخطوات الإجرائية التي ينبغي على المسلم و المؤمن القوي أن يتسلح بها في مواجهته للحملات المسعورة من قبل الملاحدة والعلمانيين الجدد، وفي السطور

القليلة القادمة نقدم للقارئ المسلم خطة إجرائية تساعده وتعينه في مواجهة حملات الملاحدة وخططهم المحمومة.

حقيقة العبادة:

حقيقة العبادة ـ كما يشير سماحة الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله ـ هي إفراد الله سبحانه وتعالى بجميع ما تعبد العباد به من دعاء وخوف ورجاء وصلاة وصوم وذبح ونذر وغير ذلك من أنواع العبادة، على وجه الخضوع له سبحانه وتعالى والذل لعظمته، وغالب القرآن الكريم نزل في هذا الأصل العظيم، كقوله تعالى: ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين. ألا لله الدين الخالص﴾، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾، وقوله عز وجل:

﴿فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون﴾. وعن معاذ (رضي الله عنه) أن النبيﷺ قال: "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً".

ومن ملامح حقيقة العبادة أيضاً الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ليس كمثله شئ وهو السميع البصير﴾، وقوله تعالى: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾.

وإذا صدق الإيمان في قلب المسلم كان لذلك آثاره في عقيدة المؤمن وشعوره، وفي صلته بالله تعالى، وفي جهاده ضد أولئك الملاحدة والمشركين والعلمانيين، وهذا الإيمان الذي يستقر بقلبه يزيده يقيناً وطمأنينة وثقة، يقول الله تعالى في ذلك: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾، وقوله تعالى:

﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون.الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم﴾.

وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: قال رسول اللهﷺ: "المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزاء: الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، والذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والذي إذا أشرف على طمع الناس تركه لله عز وجل".

خصائص العقيدة الإسلامية:

إن من أهم مزالق الشباب المسلم وانسياقهم وراء الدعوات الإلحادية والفلسفات المشبوهة أن هذا الشباب لا يعلم شيئاً عن خصائص عقيدته السمحة، وتعاليمها التي ازدادت إنسانيته رفعة ومكانة، ومن أهم هذه الخصائص التي تميز العقيدة الإسلامية عن غيرها ما يلي:

ربانية:

العقيدة الإسلامية تربية ربانية؛ وذلك لأن مصدريها الأساسين وهما القرآن الكريم والسنة النبوية وحي من الله عز وجل، فمصدر هذه التربية رباني خالص منزل من السماء كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ . كما أن العقيدة الإسلامية تربية ربانية الغاية الوجهة، فغايتها وهدفها هو حسن وتعميق الصلة بالله تبارك وتعالى، والحصول على مرضاته، فكل ما في الكون قد

خلق للإنسان، أما الإنسان فقد خلق لله عز وجل؛ لمعرفته وعبادته، وأداء أمانته على الأرض.

وهذه الربانية تجعل العقيدة الإسلامية موضع ثقة للمؤمنين بها، كما أنها تغرس في المؤمن دافعا فطرياً داخلياً نحو الاستقامة دون الحاجة إلى رقابة من سلطان أو قانون؛ لأنها تغرس في نفس الإنسان وازرعاً داخلياً يحثه على مراقبة الله في تصرفاته وسلوكه وأفعاله.

إنسانية:

تهتم العقيدة الإسلامية بالإنسان وقضاياه ومشكلاته العامة والخاصة، وهي تربية ترتقي بأخلاق الإنسان المؤمن،وتهدف إلى إسعاده في الحياة الدنيا والآخرة، والمصدر الأول لهذه التربية هو القرآن الكريم وهو كتاب الله للإنسان، وأولى آيات القرآن الكريم اهتمت بتعليم الإنسان، يقول تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾، وأوامر القرآن ونواهيه هدفها صالح الإنسان، كما أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أكد ذلك في أحاديثه وسلوكه ومعاملاته.

والقرآن الكريم حريص في شتى المناسبات على تأكيد إنسانية الإنسان، يقول تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾. وتتضح صفة الإنسانية في جانب العبادات؛ فالصلاة عون للإنسان في الحياة، يقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ﴾. والصوم تربية لإرادة الإنسان على الصبر في مواجهة المصاعب، وتربية لمشاعره على

الإحساس بآلام غيره، والحج مؤتمر رباني إنساني، دعا الله فيه عباده المؤمنين، يقول تعالى: ﴿ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ .

فشهود المنافع هنا يمثل الجانب الإنساني في الحج، والزكاة مظهر من مظاهر الإنسانية في أجلى معانيها، فهي تؤخذ من الغني القادر لترد على الفقير، فهي للأول تزكية وتطهير، وللثاني إغناء وتحرير. ومن مظاهر التكريم الإلهي للإنسان استخلافه في الأرض، وخلقه في أحسن تقويم، يقول تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾، وتسخير الكون لخدمته.والتربية الإسلامية توجه الإنسان نحو الأخلاق الفاضلة من خلال تعلمها، والالتزام بالخلق الكريم، والتحلي بجميل الصفات، ومعاملة الآخرين بالحسنى، وفي هذا اهتمام بالإنسان.

متكاملة:

يقصد بالتكامل أنها لا ينفصل بعضها عن بعض، ولا يكتفي بشيء منها على سائرها، والتكامل يأتي من أن الفرد كل متكامل لا ينفصل جسمه عن عقله ولا عن وجدانه، ولا تنفصل حياته الفردية عن حياته الاجتماعية. وتعني هذه الخاصية أن جوانب الدين الإسلامي متكاملة تتبادل التأثير والتأثر، ويشير التكامل إلى أن الجوانب العملية في الإسلام لا تصبح ذات قيمة إلا إذا سبقها اعتقاد أو نية طيبة، قال رسول الله ﷺ "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى"، وهذا يعني بالضرورة انسجام العلم والعمل، والعقيدة، والشريعة، وضرورة الاتفاق بين الجوانب

المختلفة للشخصية. والتربية الإسلامية بذلك تمتاز بتكاملها في الحصول على المعرفة، واكتساب الخبرات وتنميتها، ومن ثم تكوين نظرة متكاملة نحو الكون والحياة، وتكوين اتجاهات إيجابية متكاملة لديه.

متوازنة:

تتسم العقيدة الإسلامية بالتوازن، ويتضح ذلك في تناسق العلاقات بين الإنسان وخالقه، وبين الإنسان ومجتمعه وأسرته، وبين الجانب المادي والروحي، وذلك في العبادات والسلوك والمعاملات، فلا يطغى جانب على آخر، بل تتناسق العلاقات بقدر يتيح للإنسان أن يحيا حياة متوازنة مستقيمة. ومن أمثلة ذلك جاءت الدعوة إلى السعي والعمل مقرونة بالصلاة، فبعد أداء الصلاة وهي الجانب الروحي يجب على المسلم السعي إلى عمله، وهو الجانب المادي، مما يحدث التوازن في حياة الإنسان، يقول الله تعالى: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾.

شاملة:

إن للعقيدة الإسلامية الصحيحة نظرة شاملة للإنسان والحياة، وتعني بالإنسان من نواحي تكوينه جميعها، جسميا وعقليا وروحياً، فالإنسان ليس بالكيان المادي فحسب، كما أنه ليس بالروح المجردة عن المادة، بل هو كائن يحتاج إلى نمو الجسم والعقل والروح والخلق باعتدال. فاهتمام الإسلام بالجسد يتمثل في مظاهر كثيرة منها الدعوة إلى الاعتدال في المأكل والمشرب وفيه حفاظ على الصحة، إلى غير ذلك من إكساب المؤمن العادات الصحية الطيبة، يقول الله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾.

وجاءت سيرة الرسولﷺ مؤكدة لذلك، قال الرسولﷺ: "بركة الطعام الوضوء قبله،والوضوء بعده"، وفي هذا حرص على إكساب الرسولﷺ للمؤمن مجموعة من العادات الصحية المتعلقة بالطعام.

واقعية:

تمتاز العقيدة الإسلامية بانسجامها مع الواقع، وتوافقها مع الحياة، فمنهج العقيدة الإسلامية لا ينكر واقع الإنسان وبيئته، بل امتاز بملاءمة الواقع، والانطلاق منه إلى معارج الخير والفضيلة، والواقعية في الإسلام تعني مراعاة الكون من حيث هو حقيقة واقعية ووجود مشاهد، والعقيدة الإسلامية من خلال توجهاتها الفكرية وتعليماتها الأخلاقية لم تنس واقع الكون وواقع حياة الإنسان.

أخلاقية:

تعمل العقيدة الإسلامية على غرس الأخلاق الفاضلة في نفوس المؤمنين، فالأخلاق الإسلامية جزء لا يتجزأ من الإسلام، وهي ثمرة الأحكام الشرعية، لذا يثاب من تمسك بالخلق الطيب، وتتلخص التربية الأخلاقية في الإسلام بالتمسك بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ .

وتعاليم الإسلام في الجانب الأخلاقي جاءت لتنقل البشر خطوات فسيحات إلى حياة مشرقة بالفضائل والآداب، فليست الأخلاق في التربية الإسلامية من الترف الذي يمكن الاستغناء عنه، بل هي من أصول الحياة التي

يبغيها الإسلام ويرفع درجة أصحابها، وقد أحصى الإسلام مكارم الأخلاق ومعاليها وفضلها تفضيلاً، وحث أتباعه على التزامها والتمسك بها.

وقد تجلت أخلاقية الإسلام حين شرع مقابلة السيئة بمثلها دون عدوان، فأقر بذلك مرتبة العدل، ودرء العدوان، ولكنه حث على العفو والصبر والمغفرة للمسيء، على أن يكون ذلك مكرمة يرغب فيها، لا فريضة يلزم بها، ويشير القرآن الكريم إلى هذا المعنى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين﴾.

أسلحة الإسلام الحضارية:

لابد وأن يعي المسلم القوي أن شريعته السمحة قد وفرت له عدة أسلحة يمكن أن يستخدمه في حربه ضد الملاحدة والعلمانيين، وهذه الأسلحة ليست عنيفة أو متطرفة، إنما هي أسلحة وقائية وحجج يستطيع أن يستخدمها المسلم في صراعه ضد مزاعم وافتراءات الملاحدة، ويمكن أن نوجزها في الآتي:

(أ) تعميق الصلة بالقرآن الكريم:

على المسلم أن يسعى إلى تعميق صلته بالقرآن الكريم؛ تلاوة وحفظاً، وتفسيراً، ووعي أثره في حفظ وحدة المسلمين الفكرية، وإبراز فكرة إعجاز القرآن، والحرص على إقامة اللسان بقراءة آيات القرآن على أنها حجة في ضبط اللفظ العربي والجملة العربية.

(ب) تعميق الصلة بالسنة النبوية الشريفة:

في حرص المسلم على تعميق صلته بالقرآن الكريم، يجب عليه أن يعمق صلته أيضاً بالسنة النبوية الشريفة، وتعرف سيرة الرسولﷺ ، ودراسة الحديث النبوي الشريف، وحفظه وفهمه وتمثل ما يحتويه من الأحكام والآداب والقيم، وإدراك منزلته مع ما يتطلبه من الاتباع و الاقتداء، ثم تقدير الجهود العظيمة التي بذلها علماء المسلمين في تدوين الحديث وتنقيته من الدس والوضع والتشويه.

(ج) تزويد المتعلمين بمجموعة من المعارف الإسلامية:

لابد وأن يسعى المسلم إلى تزويد نفسه بمجموعة من المعارف الدينية، ووصله بالفكر الإسلامي عن طريق اطلاعه على جوانب متعددة من هذا الفكر، لكي يدرك سمات هذا الفكر؛ لأنه ضروري في فهم الدين فهما صحيحاً نقياً.

(د) تنمية بعض الاتجاهات الإيجابية السليمة:

تسعى العقيدة الإسلامية إلى تنمية الاتجاهات الدينية الإسلامية السليمة مثل الاعتزاز بالدين الإسلامي، واستعلائه على الضلال، والتسامح والتواضع، والأخوة في الإسلام، وسعة الأفق ولين الجانب والوسطية، وكذلك دعم قيم التعاون والديموقراطية، وتعود السلوك الاجتماعي السوي، والمشاركة الإيجابية الخيرة، واكتساب روح البذل والعطاء، والنفور من روح الأثرة، والأنانية وحب الظهور، وتنمية الحس الديني الذي يولد حيوية الشعور الإسلامي في الاستحياء من الله والتأثر

بالحسن والقبح من الأقوال والأفعال، واتخاذ الإسلام مقياساً وعياراً في الحكم على الأشياء كلها.

(هـ) تنقية الدين من المفاهيم المغلوطة والخاطئة:

تهدف العقيدة الإسلامية إلى تنقية الأفكار الدينية مثل الشعوذة والخرافة التي تنتشر في البيئات العربية والإسلامية، والأفكار الخاطئة والتيارات الفكرية الواردة على الإسلام والبدع المستحدثة؛ مثل زيارة قبور الأولياء،وإقامة الأذكار بصورة بعيدة عن روح الدين وجوهره، وغير ذلك من السلوك الممتزج بمظاهر دينية، وكذلك يهدف إلى التحرر من الخرافات والأوهام والعقائد الفاسدة التي وردت إلى مجتمعاتنا عن طريق الاختلاط بالأجانب، وتبادل الثقافات واحتكاكها.

(و) تنمية القدرات العقلية ومهارات التفكير العليا:

لابد للمسلم القوي أن يجاهد نفسه في تنمية القدرات العقلية لديه، واستخدام التفكير الموضوعي السليم تجاه القضايا الدينية والدنيوية المختلفة، عن طريق استخدام الأدلة والشواهد والحجج التي تدعم موقفه ورأيه تجاه هذه القضايا، وتنمية مهارات التفكير مثل الاستقراء والاكتشاف، والتفكير الناقد والإبداعي والتأملي.

(ز) احترام عقائد المخالفين:

من مزايا العقيدة الإسلامية السمحة أنها تربي النشء والشباب المسلم على عدم احتقار الآخرين، وتدعوهم إلى احترام غيرهم وتقدير عقائدهم دون إكراه أو تدخل، يقول تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾، وكان

الإسلام بذلك من الأديان النادرة التي منحت أهل الديانات الأخرى ذمة الله ورسوله، لقوله تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا غليهم إن الله يحب المقسطين﴾.

ومن هنا فإن المسلمين طوال تاريخهم الطويل لم يظلموا ذمياً أو كتابياً، بل إن الأمر كان يوجه لجيوش المسلمين وعدم هدمها أو الإساءة إليها كما أن أصحاب الملل الأخرى ارتقوا مناصب مهمة في كثير من الدول والإمارات الإسلامية دون تعصب ضدهم أو إساءة إليهم، وأن المؤسسات التعليمية والمكتبات الخاصة لهذه الملل استمرت تؤدي عملها في ظل الحضارة الإسلامية دون مصادرة لها أو تعطيل لعملها.

ويمكننا أن نورد بعض ملامح علاقتنا بالذميين في النقاط الآتية:

. حريتهم في اختيار عقيدتهم، حيث يرفض الإسلام أن يكره الناس على الدخول في عقيدة لا يرتضونها، فالإنسان بعقله الذي وهبه الله إياه، عليه أن ينظر أي طريق يسلكه من طريقي الهدى والضلال، وعلى المسلمين أن يبلغوا رسالة الإسلام إلى من عداهم، فإما أن يهتدوا ويختاروا طريق الخير وهو طريق الإسلام، وإما أن يختاروا الطريق الآخر.

. أنه لا يجوز الاعتداء على أنفسهم، يقول الرسولﷺ : "من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً". وكذلك لا يجوز الاعتداء على أموالهم، أو أعراضهم.

. وجوب الدفاع عنهم ضد كل من يعتدي عليهم، سواء أكان هذا

المعتدي من مواطني دولة أخرى، وهم ما يسمون في الفقه الإسلامي بالحربيين، أم كان من أهل الذمة، أم كان من المسلمين.

. أنه يجوز للمسلم أن يتزوج الكتابية، أي التي لقومها في دينهم كتاب سماوي وهم اليهود والنصارى، لكن لا يجوز للكتابي أن يتزوج المرأة المسلمة.

. يجوز الأكل من ذبائحهم لقول الله تعالى: ﴿اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم. والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين﴾.

. خضوع أهل الذمة وانقيادهم لأحكام الشريعة الإسلامية في ضمان الأنفس والأموال والأعراض، وأن تقام عليهم الحدود فيما يعتقدون تحريمه عليهم ، ومما يعتقدون تحريمه الزنا والسرقة والقتل والقذف، فهذه الأمور وأمثالها يجب خضوعهم لأحكام الإسلام فيها.

. إحسان المعاملة، فالإحسان واجب على كل أفراد المسلمين، ماداموا لم يتعرضوا للمسلمين بالأذى.

الفصل الرابع

الإسْلامُ بَيْن الشَّرْقِ والغَرْبِ

يخبرنا الأستاذ عباس محمود العقاد بحقيقة ماتعة مفادها أن قراءة كتب فلسفة الدين وتراجم العظماء تؤدي جميعا إلى توسيع أفق الحياة أمام الإنسان، ويؤكد على رهان لا يزال قائما وهو أن الكتب طعام الفكر وتوجد أطعمة لكل فكر، كما توجد أطعمة لكل بنية، ومن مزايا البنية القوية أنها تستخرج الغذاء لنفسها من كل طعام، وكذلك الإدراك القوي الذي يستطيع أن يجد غذاء فكريا في كل موضوع.

هذه التقدمة جاءت ضرورية، بل وأكثر واقعية وأنت بصدد إعادة قراءة كتاب الإسلام بين الشرق والغرب لعلي عزت بيجوفيتش الرئيس السابق للبوسنة وقائدها السياسي وزعيمها الفكري والروحي كما طاب هذا التوصيف للمفكر المصري الموسوعي الدكتور عبد الوهاب المسيري. وفكرة الزعامة الفكرية لبيجوفيتش أتت من كونه صاحب اجتهادات واسعة ومهمة في تفسير ظاهرة الإنسان في كل تركيباتها، وهو ـ علي عزت بيجوفيتش ـ كان أكثر الزعماء المهمومين بعلاقة الإنسان بالطبيعة، باحثا عن نظام فلسفي دقيق يحكم تلك العلاقة.

ولعل اجتهاد علي عزت بيجوفيتش نتيجة منطقية لجهاده المستدام، وشتان بينه وبين رؤساء آخرين مهمومين بتفكيك القوى العربية الكبيرة على حساب كيانات سياسية أكثر صغرا، في الوقت الذي كان فيه

بيجوفيتش مرهونا بالدفاع عن قضايا بلاده، لذا استطاع بحق أن يصبح بيجوفيتش على توصيف الدكتور عبد الوهاب المسيري أن يحظى وحده بلقب المجاهد المجتهد، ويلعب منفردا دور الفارس والراهب، في التوقيت الذي لهث فيه كثير من حكامنا العرب آنذاك بالتطبيع الصهيوني والمقامرة مع الإدارة الأمريكية لتحقيق مآرب شخصية بل أسرية أيضا أي على نطاق الأسرة كما كان الحال مع المخلوعين المصري والتونسي مبارك وبن علي.

وكتاب الإسلام بين الشرق والغرب للرئيس البوسني الأسبق علي عزت بيجوفيتش لا يعد مهما كونه كتابا لرئيس دولة فحسب، بل لأنه كتاب رصد الملامح التي تحكم العلاقة بين الشرق والغرب والمحاولات التي تسعى ولا تزال للقضاء على الإسلام الذي يشكل صداعا كبيرا في عقول الموتورين في الغرب.

وجاء الكتاب نتيجة دراسة واسعة ومتعمقة للواقع الغربي لاسيما الأمريكي الذي طالما يتفاخر بحضارته وإن صح التعبير بثقافته لأن الغرب لم يصل بعد إلى حيز الحضارة التي يمكن تسجيل ملامحها بالسنوات البعيدة، هذا الغرب المتفاخر دوما سجل أعلى معدلات الجرائم الأخلاقية كالاغتصاب والزنا واللواط بل أعطى لهم حقوقا لا تزال مشروعة هناك كالاعتراف بالمثليين، أيضا هذا الغرب المتباهي وسط فقرنا المعرفي عنه سجل أكبر معدلات للانتحار ليس نتيجة للرفاهية كما تزعم بعض وسائط الإعلام، إنما نتيجة حتمية للفراغ الروحي والخواء الفكري.

وكانت معرفة النظام الرأسمالي الذي يتحكم في أنماط الحياة الغربية شرطا رئيسا لفطنة التوجه نحو الإسلام والمسلمين لاسيما وأن الإسلام بطبيعته السمحة يعلي الجانب الروحي والفكري للإنسان مع اهتمامه أيضا بجوانبه المادية الأخرى ولكن بصورة أكثر اعتدالا. وكثيرا ما أشار علي عزت بيجوفيتش الثقافة الروحية، فهو يعلق على ذلك الملمح الرصين في حياة الإنسان بقوله "يمثل الدين والعقائد والدراما والشر والأخلاق والجمال وعناصر الحياة السياسية والقانونية التي تؤكد على قيم الشخصية والحرية والتسامح، يمثل كل هذا الخط المتصل للثقافة الإنسانية الذي بدأ مشهده الأول في السماء بين الله والإنسان".

وأجدر ما ينبغي الإشارة إليه في ثنايا كتاب الإسلام بين الشرق والغرب للرئيس البوسني الأسبق بيجوفيتش هو سؤال الدهشة المطروح حول أصل الإنسان، وفي هذا السؤال يفند علي عزت بيجوفيتش طروحات الماديين والعلمانيين حول التفسير المادي للإنسان، محاولا إيجاد ثغرات علمية تدحض هذا الزعم العبثي، فهو يحاول إثبات عجز النموذج الدارويني في التطور في تفسير ظاهرة الإنسان، وهو في سبيل ذلك يبين أنه من المستحيل تصديق أن الإنسان نتيجة تفاعلات كيميائية تمت بالصدفة وأدت إلى خلايا بسيطة ثم تطورت إلى أن أصبحت الإنسان.

جميل الكتاب ليس كونه سطورا في فلسفة الدين وأصل الإنسان وتركيباته النفسية والروحية والمادية وعلاقته بالكون والطبيعة، إنما جميله ومعروفه أيضا أنه طرح فكري صدر عن رئيس وزعيم فكري لشعب أصيل

عانى وقاسى ويلات الاضطهاد والتمييز الديني، وجاء ليدحض مزاعم الغرب المادية ومدافعا عن هذا الهجوم الضاري صوب الإسلام الحنيف. وتبقى رصاصة الرحمة التي أطلقها علي عزت بيجوفيتش للفكر المادي قائمة حينما أعلن عجز رواد النظرية الداروينية في تفسير الظواهر الثقافية للإنسان لسبب بسيط وهي أن الظواهر تلك تقف متعالية عن التركيب المادي الذي أسهبوا في تفسيره بل وتقف بمنأى عن التبريرات المادية مفارقة لها.

وعلي عزت بيجوفيتش يدحض مجددا الفكر المادي المسيطر على العقل الغربي حينما يؤكد أن الإنسان استطاع الارتقاء عن نظريات تفسيره المادية الضيقة من خلال مظهرين أساسيين له؛ الدين والفن، وهو في ذلك يشير بقوة إلى الأخلاق المادية النفعية المسيطرة والمهيمنة على الشباب في دول الغرب، ويطرح فيجوفيتش تساؤلا مثيرا لدهشة التلقي والتأويل: لماذا توقف الإنسان عن تحسين كفاءته في الصيد ليقوم ببعض الشعائر التي لا معنى لها من منظور مادي نفعي؟. السؤال نفسه يطرح أسئلة أخرى مثل ما الهدف من الوجود والبقاء؟ هل هناك آليات لاستمرار بقاء روحي للإنسان؟. ومثل هذا الطرح الفلسفي هو إعلاء وإعلان عن حياة روحية للإنسان أرقى من حياته المادية النفعية وارتباطه بقوة غيبية أعلى تلهمه الصواب وتمنحه قدرا كبيرا من التعامل الراقي مع الكون والطبيعة.

ويطرح علي عزت بيجوفيتش نظريات ثلاث حول وجهات نظر العالم التي تحكم تفسير الإنسان لطبيعته؛ فرؤية مادية ترى العالم مادة

محضة، وهي نظرة تنكر أية تطلعات روحية للإنسان ولاشك أن هذه النظرة الضيقة هي التي أودت بالشباب الغربي إلى مهالك أخلاقية كالزنا والتحلل القيمي والانتحار وعمليات التحول الجنسي وغير ذلك من مثالب مهلكة.

ورؤية دينية مجردة تتسم بالروحية الخالصة باعتبار الدين تجربة روحية فردية تنكر كل احتياجات الإنسان المادية، ودلل على ذلك بالمسيحية.

أما الرؤية الثالثة والأخيرة حسب الطرح الفلسفي لبيجوفيتش فهي الرؤية الإسلامية التي تعترف بالثنائية المعتدلة للإنسان، التي تتجاوز الرؤيتين السابقتين عن طريق توحيد طبيعي بين المادة والروح، حيث إن الإسلام الحنيف استطاع أن يخاطب كل ما في الإنسان، وهو الديانة التي أقرت بأن الإنسان هو وحدة الروح والجسد.

ويقر علي عزت بيجوفيتش بأن هذه الثنائية باتت صعبة التفسير والتلقي لدى الغرب غير المسلم، وهذه الثنائية نجدها متقابلة باتفاق واضح في مصدري الإسلام القرآن الكريم والسنة النبوية العطرة لصاحبها المصطفى (صلى الله عليه وسلم). وراح المجاهد المجتهد بيجوفيتش يرصد كل ملامح ثنائية الروح الجسد في أركان الإسلام الخمسة وأيضا في مهارتي اللغة القراءة والكتابة.

وإذا كان المفتتح عند أستاذنا العقاد، فعنده أيضا المختتم، فهو يرى أن الوصول بالعقل إلى معرفة الله هو أسمى درجات الإيمان وهو الأمر غائب الصلة والاتصال عن العقل الغربي المفرط في ماديته، والاكتفاء هنا ونحن بصدد الحديث عن الإيمان بتساؤل بيجوفيتش هل الأخلاق ممكنة

بدون إله؟ بالطبع لا رغم أن هناك ملاحدة على أخلاق، لكن لا يوجد إلحاد أخلاقي، وهذا المسعى هو مطمح الغرب الذي يحاول إنتاج أجيال كاملة لا تذعن لقوانين الدين وضوابط العقيدة، ويبقى الدين هو الملمح الأصيل الثابت في حياة الإنسان الذي يقنن مثاليته ويجعله الحدث الأهم والأبرز في تاريخ الكون.

الفصل الخامس

الحرب على الإسلام.. سهام الداخل

وُجوهُ الجِهادِ الإسلاميِّ المُعَاصِرِ.. مُغامرةُ طالبان أنموذجًا

إن "بلادنا تحررت والمجاهدون انتصروا في أفغانستان." هذا ما أعلنه أحد متمردي حركة طالبان الأفغانية عقب قنصهم للعاصمة كابول واحتلال القصر الرئاسي وسط الهروب الاضطراري للرئيس الأفغاني ورجال حكومته بعيد عن البلاد والعباد، وللقصة تفاصيل أخرى تبدأ من القاهرة بإحدى أروقة المحاكم المصرية، وتنتهي عند حدود مكتب رئيس أفغانستان الذي يجلس عليه اليوم حفنة من المهووسين بالجهاد المزعوم الذي لم يتجه صوب أعداد الإسلام الحقيقيين بل توجه طواعية بغير تفكير أو روية إلى صدور معتنقي الإسلام أنفسهم، وما يلبث أن يستقر الجهاد قليلا حتى يبدأ معركة جديدة ضد التعليم والمرأة معا بوصفهما عدوا لا يقل أهمية عن محاربة الكفار والمرتدين والمشركين في زعم وظن هؤلاء.. وإليكم التفاصيل.

ـ قريبا من القاهرة:

يبدو مشهد مثول الداعية المصري محمد حسان أمام المحكمة أمرا غير مثير أو يدعو إلى تحقيق الدهشة وتمكينها من العقل العربي المعاصر الذي بات اليوم أكثر وعيا وإدراكا لإحداثيات الحالة السياسية المرتبطة بالصبغة الدينية سواء داخل مصر أو خارجها؛ لأن معظم دعاة مصر المعاصرين الذين بدأ بزوغ نجمهم الإعلامي في عهد مبارك كنوع من

إحداث التوازن السياسي داخل المجتمع من ناحية، وكاستخدام ظهورهم فزاعة افتراضية وقنبلة موقوتة مؤجلة بوجه الولايات المتحدة الأمريكية لاسيما في الأوقات التي كانت تندد بعض منظمات المجتمع المدني الممولة خارجيا بقضية الأقليات الدينية في مصر والعزف على أوتار الطائفية الدينية وقتئذ. وقلة جدوى الإثارة في شهادة الداعية محمد حسان مفادها أن التضليل سمة رئيسة لدى كل من ينتمي للتيارات الإسلام السياسي، مثلما كانت شهادة الداعية المعاصر محمد حسين يعقوب والتي يمكن دمج الشهادتين معا في عدم معرفتهما بكافة مشاهد الوطن العربي، أو بالأحرى أنهما يكتفيان بالدعوة إلى الله طاعة ومحبة أو بتبصير العوام بصحيح الدين.

لكن في كنه الأمر وحقيقته أن دعاة العصر الحديث الذين بالقطعية لا يفطنون لتجديد الإمام محمد عبده لأنه صعب المنال في التلقي والتفسير والتأويل لقوة مضامين فكره ولغته الرصينة الفصيحة، ولم يدركوا أن الدين هو أساس إصلاح العباد والبلاد وليس لتأجيج العوام والبسطاء حظا من العلم والمعرفة، ورغم انتماء الكثير من دعاة العصر الراهن للطوائف والجماعات الدينية كالإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية الجهادية والتكفير والهجرة والقطبيين نسبة لسيد قطب وأخيرا ولاية سيناء، إلا أنهم بالضرورة سينكرون كافة ممارسات تلك الطوائف وسينددون بما قامت به من أعمال قتل واغتيال لجنودنا البواسل من الشرطة والجيش، رغم أن وسائل التواصل الاجتماعي وما تقدمه شبكة يوتيوب كفيلة بأن تعضد لدينا يقين موافقتهم على ما تم من ممارسات بدليل دروسهم الدعوية

ومحاضراتهم الكثيفة في الزمن والدلالة واشتراكهم بالنية لا بالفعل فيما نسب إلى هذه التيارات والجماعات.

المشكلة التي تظل عالقة بفكر هؤلاء وأتباعهم أن مصر وغيرها من البلدان العربية والإسلامية تعيش في جاهلية محكمة، وأن الشعوب العربية وحكامها أيضا في ضلال وفجور ومن ثم وجب الخروج عليهم وقتالهم حتى النفس الأخير. ودون تفتيت هذا الزعم الذهني لدى هؤلاء لأن قضيتهم بحق لا تستحق الاهتمام بقدر اهتمامنا بالدور الذي يقومون به من تقويض للأمن والأمان المجتمعي.

وبعيدا عن مشهد الداعتين محمد حسان ومحمد حسين يعقوب الذي لا يرهق العقل بتأويله، لكن كلما صعد التيار الديني السياسي ذو الأطماع السلطوية تحت عباءات الدين كلما اجتر الحديث مجددا عن بعض الدعاة، نعم بعض وليس كل لأننا أمرنا بأن نتجنب الظن باعتباره إثما كما يرشدنا ويأمرنا القرآن الحكيم، بعض هؤلاء نجده يسخر شيخوخته لتزويج الفتيات السوريات اللاجئات في مصر بحجة ستر النساء، ومنهم من وهب حياته للتغرير بطالباته بالجامعات تحت دعوى أنه صاحب الولاية الدينية وهو أجهل الرعية بدينه، ومنهم من يخطط ويدبر في الخفاء غير هارب إلى تركيا أو قطر أو ماليزيا كما فعل قيادات الجماعات الإسلامية والإخوان المسلمين. لكن هم يدبرون هنا في الداخل فالرؤية أوضح وأبصر لهم.

وثمة عداء ملحوظ لدى دعاة العصر الحديث من المنتمين للتيارات الإسلامية المتشددة في مصر وبعض البلدان العربية للصحافة بوجه خاص،

وللثقافة بوجه عام، هؤلاء المهووسين بتسجيلاتهم المسموعة، التفتوا منذ فترة زمنية ليست بالقصيرة إلى اللهاث وراء فتنة الفضائيات باعتبارها الأكثر انتشارها والأقوى تأثيرها في جموع العوام والبسطاء عبر رفع الصوت وتعبيرات الوجه وإطلاق الغضب أو الابتسامة لحدود سطح القمر / ولا يستطيع أن ينكر جاحد حقيقة مفادها أن هؤلاء المحسوبين بغير تخصص على الدعوة الدينية والعلم الفقهي بحكم أنهم غير متخصصين لا بإجازة رسمية من الأزهر الشريف أو لفقر درجاتهم العلمية في صناعة عدو في الداخل اسمه صحافة النخبة والتي يشيرون إليها بأنها صوت الحاكم وبوق الدولة والتي في نظر هؤلاء يحاربون الإسلام والمسلمين، ومنهم من كفر الحاكم وأطلق أحكام الجاهلية على الشعب تماما مستشهدين بفيلسوفهم سيد قطب الذي كان يحلم بامتطاء جواد السلطة عن طريق التقرب إلى الحاكم آنذاك الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وحينما افتضحت نواياه وظهرت أنيابه التخريبية أعلن حاكميته التي لا تتصل بما جاء في القرآن الكريم من تفاصيل الحكم لله.

واستطاعت هذه الفئة بصورة مقصودة أن تلصق بالإعلام الوطني لاسيما الصحافة وأحيانا كثيرة البرامج السياسية التي تبث عبر القنوات الفضائية العديد من التهم التي لا تخرج عادة عن الليبرالية المتوحشة والبعد عن شريعة الله وإغراق المجتمعات الإسلامية بالقيم المغلوطة والعادات الفاسدة، بل تجاوز حفنة الدعاة المعاصرين حد توجيه التهم سابقة التجهيز إلى القول بأن الصحافة القومية والفضائيات الرسمية جزء رئيسي من مخطط

خارجي لضرب استقرار المعتقدات الثابتة للمجتمعات الإسلامية.

ـ صوب كابول:

وانطلاقا من لجوء دعاة العصر الحديث إلى كافة الوسائط الجماهيرية التقنية التي تيسر مهمتهم الدعوية، فإن طالبان الحركة معروفة التكوين تاريخيا والضاربة في جهادها المسلح طوال عقود سواء ضد التيارات الشيوعية أو الإمبريالية الدولية، واستطاعت هذه الحركة بامتهار وكفاءة شديدة في استغلال كافة وسائط الإخبار والإعلان عن طبيعتها مستخدمة في ذلك دعما أمريكيا معروفا في المنطقة ليس من قبيل الأخذ بنظرية المؤامرة وإن كنا مضطرين طوعا وكرها وعن إرادة مباشرة في القبول والتسليم بفكرة دعم الولايات المتحدة الأمريكية أو الحركة الصهيوأمريكية لكافة التيارات والطوائف والحركات التي من شأنها تجعل منطقة الشرق الأوسط أكثر اشتعالا، ومن مصلحتها التوسعية ليس في احتال مكاني بل التوسع من خلال بقائها على قيد الحياة في منطقة محتدمة بالصراعات والأزمات عبر خلق وتدشين ممارسات تقويضية للأنظمة الحاكمة السائدة.

وأيضا جهادها ضد الأفغان أنفسهم وبعضنا يعرف قصة ملالا زاي يوسف التي تعرضت لوحشية حركة طالبان، ومن اليسير سرد بعض من تفاصيل قصتها لإعادة المشهد إلى أذهان القارئ وصولا إلى مشهد السيطرة على كابول وقنصها وسط استسلام عجيب.

"اللَّهُ بَارَكَنِي بِحَيَاةٍ جَدِيْدَة" بهذه العبارة افتتحت فتاة صغيرة السن ذات الأعوام السبعة عشر بالبراءة والطيبة والملامح الطفولية حديثها عقب

إفاقتها من الغيبوبة التي دخلت فيها كرها بعد الاعتداء الوحشي على أيدي رجال حركة طالبان المسكينة، والعبارة مقصودة وجد بليغة لأنها ذكرت أولئك الذين يتشدقون بالدين وهم بعيدون تمام البعد عن إسلامنا الحنيف بالقيم التي ينبغي أن يلتزموا بها. و(مالالا) قصة إنسانية ضد خفافيش الظلام والظلامية وأعداء التنوير، فهي فتاة نشأت وترعرعت في ظل ثقافة حركة طالبان التي تدعي أنها حركة دينية أصولية وهي في الأصل لا علاقة لها بالإسلام ولا بأهله مطلقا، وهؤلاء يرفضون حتى لحظة الكتابة تعليم المرأة بوجه عام لاعتبارات ثقافية ترتبط برهاناتهم الفكرية والأيديولوجية وتعليمات أمرائهم وشيوخهم بأن في تعليم المرأة انهياراً للمجتمع الإسلامي.

بل إن المستقرئ لآخر تصريحات قيادات وأمراء حركة طالبان منذ اعتلائهم سدة الحكم يرصد ثمة أوامر ونواهي تتعلق بالمشهد السياسي الحاكم في أفغانستان، لكن بقية الأوامر والتعليمات نسائية وكأن الحركة نسوية تعتم بقضايا المرأة وأمورها وشأنها المجتمعي، فهذه الفتاة التي ولدت وعاشت في سويسرا باكستان أعني وادي سوات وهي منطقة سياحية هادئة رفضت أن تكون ضحية بائسة لأفكار الظلاميين الذين يرفضون تعليم الفتاة خشية الخروج على نظام قمعي وتطرف راديكالي معلن، وتبدأ قصة مالالا حينما اقتحم رجال من حركة طالبان باكستان حافلة مدرسية لدى خروج التلاميذ من مدرسة مينغورا في وادي سوات (شمال غرب باكستان) وسأل أحدهم "من هي ملالا؟" ثم أطلق عليها رصاصة في

الرأس. اخترقت الرصاصة الجانب الأيسر من دماغها وخرجت من عنقها، ونقلت الفتاة، التي كانت تبلغ ١٤ عاما في ذلك الوقت، بين الحياة والموت إلى مستشفى برمنغهام في بريطانيا على متن طائرة طبية. وبعد شفائها فاستقرت في بريطانيا وساهمت في تأسيس صندوق ملالا الذي يقدم العون للجماعات المحلية المنادية بالحق في التعليم خاصة في باكستان ونيجيريا والأردن وسوريا وكينيا. وهي آخر من حصل على جائزة نوبل للسلام مناصفة مع الهندي إيلاش ساتيارثي وذلك حسب وصف الأكاديمية السويدية المانحة للجائزة عن "كفاحهما ضد قمع الأطفال والشبان ومن أجل حقوق جميع الأطفال في التعليم".

وحكاية مالالا تشبه آلاف الحكايا والقصص التي ترتبط بواقع الفتاة في مجتمعاتنا العربية الذي يصر ألا يرى في الأنثى عقلاً أو رأيا أو ذهنا وربما لا يدرك أنها بحق إنسان في ظل ثقافة ذكورية مريضة، فالقصة الاجتماعية ترى المرأة فتنة وغواية ومصدرا للشرور ذلك لأن تفكير النصف الأسفل من الجسد هو المسيطر على هؤلاء المرضى المتهوكين فكراً وعقلاً.

الذي يعنينا الآن هو سيطرة حركة طالبان على كابول ودخول أعضائها القصر الرئاسي وسط أنباء وأخبار عن هروب رئيس البلاد وأعضاء الحكومة فارين خارج حدود أفغانستان التي باتت منكوبة بفعل تدمير العقول والأبنية أيضا. وهذا ما ذكرته صحيفة (ميدل إيست) **Middle East** ، حيث أشارت إلى أن مقاتلي حركة طالبان دخلوا مساء الأحد ١٥ أغسطس إلى العاصمة كابول بعد أن كانوا على مشارفها في وقت سابق، وسط انهيار

سريع ومفاجئ لقوات الأمن والجيش، وتشير الصحيفة **Middle East** أيضا أن مصدرا أفغانيا أوضح بأن الرئيس أشرف غني غادر البلاد إلى طاجاكستان المجاورة، فيما توالت ردود الفعل الدولية بين محذر من فوضى عارمة وعودة للإرهاب وبين من دعا إلى انتقال سلسل للسلطة، في حين عبرت روسيا عن استعدادها للتعامل مع الحكومة الأفغانية الانتقالية، إلا أن الحركة المتشددة التي أعلنت سيطرتها على عدة مراكز ومؤسسات في العاصمة أكدت أنه لن توجد حكومة انتقالية. وأعلن غني أنّه فرّ من بلاده لتفادي "إراقة الدماء"، مع إقراره بأنّ "طالبان انتصرت.

وما يدعو للدهشة أن معظم قيادات الجيش الرسمي الحكومي الآن تطالب وساطة محلية داخلية وأخرى خارجية من بعض المنظمات الدولية وإن كانت سيادتها وهمية ضد معظم ممارسات إسرائيل بالمنطقة أو تجاوزاته التدخل لدى قيادات إيران بحق جيرانها من دول بلاد العرب، طالبوا جميعهم سرعة تحقيق الخروج الآمن لهم تأكيدا على يقينهم بالانتقام المستدام لحركة طالبان الذي تم عبر عقود طويلة.

وهذه السيطرة التقليدية التي تتم تحت عباءات دينية لرجال أزعم أو قد أزعم كثيرا بأنهم لا يعرفون كثيرا عن اللغة العربية وقواعدها التي هي محك فهم النص الديني، وهذا الانتصار السياسي المسلح الذي بالضرورة لا يستند على قواعد صحيحة للإسلام سرعان ما سيتجه صوب الداخل والخارج بأفغانستان، ولن نجد عجبا في رؤية بعض المشاهد المتلاحقة التي ستتزامن مع حالة سيطرة طالبان على أفغانستان بالكامل؛ ليست منها

طبع وتوزيع المصاحف أو كتب الأحاديث النبوية الشريفة، بل أولا إعلان انتصار الجهاد الإسلامي في أفغانستان المسلمة أيضا، ثم التنديد بالقتل والتعذيب والتنكيل بكل من يحاول الخروج عن تعاليم الإسلام، ليست التعاليم الثابتة الصحيحة المستقاة من ركائز الشريعة الإسلامية بل تعاليمهم المغلوطة التي لم تفكر للحظة واحدة أن تحارب أعداء الإسلام الحقيقيين والمهتمين بتدمير كل ما هو يتصل بالدين الإسلامي خارج حدود أفغانستان، بل الشقاء كل الشقاء لكل أفغاني يخرج من خلف ستار الأبنية العقائدية الطالبانية.

ومن مشاهد استشراف المستقبل بحكم ضيق الفكر لدى كافة التيارات السياسية ذات المرجعيات الدينية ما يتعلق بالتعليم والمرأة معا، فالتعليم عدو كبير يمثل وحشا يقف حجر عثرة ضد معظم إن لم يكن كل التيارات الجهادية المسلحة ذات المرجعية الدينية ليس فقط في بلاد الإسلام بل في الديانات الأخرى أيضا والقرون الوسطى في أوروبا تكشف تاريخها عن بعض الممارسات التي ارتكبتها الطوائف الدينية بإزاء التعليم والعلم وأهله، فالتعليم ومؤسساته لابد وأن يخضع لفكر طالبان وهو تعليم مقصود يخدم أطماعها في النفوذ والسيطرة والتحكم داخل أفغانستان ولا ريب في تهريب هذه الأفكار وتحليقها في بعض الدول العربية الإسلامية عبر جماعات متطرفة كالإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية والتكفير والهجرة وولاية سيناء وغير ذلك من جماعات التطرف الديني والفكري معا.

إن طالبان ستعامل المؤسسات التعليمية عقب سيطرتها بمزيد من

القسوة فارضة عليها كل مظاهر وملامح الاستلاب والاستقطاب وإحكام القبضة الحديدية سواء من حيث طبيعة المعارف والمعلومات التي ستقدم للطلاب ومحو كل ما سلف وسبق من معلومات ومعارف وحقائق تاريخية تتصل بما أسماه أمراء طالبان بالدولة الفاسدة المارقة، كذلك سيحدثون تغييرا طارئا سريعا في أنظمة التعليم وإدارته ومن ثم نمط السلوك التعليمي داخل المدارس والجامعات وهو الأمر الذي يحدث إرباكا مستداما أشبه بالعقدة النفسية المرضية لكل تيارات الجهاد الإسلامي، وليس بغريب أن نجد الطبيب الذي يترك عيادته متجها للدعوة والخطابة، ومهندسا مدنيا هاجرا حياته الميدانية متجها صوب بوصلة الجهاد بالقول والجسد وأحيانا كثيرة جدا جدا بغير مبالغة نجد أناسا كانوا متخصصين بالترجمة والدراسات السياحية وأعمال التجارة لاسيما العائدون من أفغانستان منذ أواسط ثمانينيات القرن العشرين يتركون أعمالهم ووظائفهم ويطوفون بالشوارع والطرقات مطرقين أبوابها لدعوة رجل مسلم للإسلام لا أفطن كيف؟ ونصيحة أخت مسلمة مطلقة أو أرملة أم لم تتزوج حتى الآن بالزواج تحت باب عفة النساء، لكن أن يقدموا شيئا واحدا للمعرفة في بلدانهم العربية لا أقل ولا أكثر بل صارت علومهم ووظائفهم في وقت واحد عدمًا!.

ثم تأتي مرحلة المرأة في حياة طالبان السياسية والدينية، وهي في حقيقة الأمر ليست مرحلة بل إن النساء لا تشكل فترة زمنية في حياة المجاهدين المعاصرين الذي استغلوا الدين لتحقيق الأطماع والمصالح السياسية، بل إنها هي جوهر تفكيرهم ومجمل هدفهم وربما جاءت الفرصة سانحة لعلماء النفس

والباحثين الجادين في مجال الصحة النفسية لإجراء دراسات نفسية علمية عميقة وواسعة لتبرير هذا الهوس بالنساء وفقه المرأة وحياتها وكافة شئونها لدى كل التيارات والجماعات الدينية في الشرق الأوسط. وقديما كانت فلاسفة أوروبا تعيب وتستهجن بعض الممارسات التي كان يفعلها رجال الدين المسيحي في القرون والعصور الوسطى هنا وكراسي الاعتراف التاريخية وطلبات التوبة وصكوك الغفران التي كانت موجودة آنذاك ولا أعلم إن كانت باقية حتى الآن لقلة معلوماتي بهذا الشأن.

لكن الهوس بالنسوية سواء من حيث تقييد حرية المرأة وحرمانها من التعليم أو من المعرفة عموما سواء إلزامية أم غير رسمية، وكذلك جعلها غنيمة كبرى للمجاهدين وجائزة عظمى للجهاد وهذا ما رأيناه كثيرا لا من خلال داعش وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق، بل قرأنا وسمعنا ورأينا جهاد الحب وجهاد النكاح وولع رموز وقيادات الجماعات الجهادية كالتكفير والهجرة والجماعات الإسلامية ولا أعرف إن كان قصدهم بالسلفية سلف الإسلام الصالح صحابة الرسول (صلى الله عليه وسلم) والتابعين وتابعي التابعين أم هي سلفية أمرائهم وقياداتهم من أهل العقد والحل أصحاب فتاوى القتل والاغتيال والترويع بحقوق المدنيين الأبرياء ورجال الشرطة والجيش.

لذا فالبوصلة الجهادية عقب احتلال كابول تتجه نحو شرق وغرب وشمال وجنوب دولة النساء، الزي الإجباري عليهم، نوعية الحياة وفرض الحبس قيد المنزل وتحريم خروجهن مطلقا، وتحريم تعليمهن، فهن مجرد

كائنات بشرية تستحق التنفس وتناول الطعام والشراب ومتعة الرجال وربما استغلال بعضهن كدروع بشرية وقت التال فحسب، لكن حقهن في الحياة أمر لا يتطلب مجرد المناقشة أو التنويه عنه.

استقرت حركة طالبان بكابول، وأعلن متمردو أفغانستان سيطرتهم الكاملة على مفاصل البلاد والعباد بغير شريك في الحكم، والمشكلة أو الأزمة لم تنتهي عند حدود سياسية ضيقة قد تنجلي بمواجهة مسلحة، إنما الأخطر هو القاعدة التاريخية للتيارات الدينية المتطرفة التي تحولت لحمل السلاح وقتل المواطنين بحجة إعلاء كلمة الإسلام وإعلان الحاكمية لله ومن ثم سفر أفكارهم لدول أخرى وإعداد جبهات مماثلة بالدول الإسلامية تحت دعاوى خلافة راشدة في معتقدهم، هذا ما ينبغي أن نقرأه جيدا ونعد له بمزيد من الوعي والتأهيل والتربية الدينية الإنسانية الصحيحة، ولنا في كابول تفاصيل أخرى.

الصَّحَافةُ الدِّينِيةُ.. مِن الخبَرِ إلى تكرِيسِ الطَّاعَةِ

تعتقد بعض التيارات الأصولية المتشددة أن صحافة ما أطلق عليها صحافة النخبة قد أفسدت على الناس كل مرافق ووسائط وروافد حياتهم، ويرى بعض زعمائها أن الصحافة النخبوية أسهمت بصورة مقصودة في تعطيل مصالح العامة، بل ويذهب غلاة الرأي منهم أن هذا النمط الصحافي أتلف أخلاق الناس ومزق روابطهم وكانت لها في حياتهم الخاصة والعامة أسوأ الأثر.

ولا يستطيع منكر أن يخفي حقيقة مفادها أن بعض التيارات

الإسلامية المتشددة في مصر وبعض البلدان العربية نجحت في صناعة عدو في الداخل اسمه صحافة النخبة، واستطاعت في فترة زمنية قصيرة أن تلصق بهذه الصحافة العديد من التهم التي لا تخرج عادة عن إثارة الفتن السياسية، ومحاولات تعميم الصيحات الليبرالية الفجة، وأخيراً ما تثيره الصحف والمطبوعات التابعة للتيارات المتطرفة بأن صحافة النخبة هي مخطط خارجي لضرب استقرار الوطن وزعزعة معتقداته الثابتة.

والغريب أن الصحافة التابعة لثقافة النقل القائمة على السمع والطاعة لم تقدم دليلاً دامغاً لتوصيف ما يسمى بالصحافة النخبوية أو صحافة النخبة، والتي يمكن أن نوصفها بأنها النمط الصحافي الذي يتحرى الدقة والموضوعية و تميل على الاتزان بمعالجة القضايا و تركز على التحليل و الشرح و التفسير وتأويل الأحداث والوقائع الزمانية والمعاصرة بصورة محايدة، مهتمة في ذلك بإعلاء شأن العقل وضرورة إعمال الفكر في كل طرح ثقافي أو سياسي أو اجتماعي، و توزيعها التجاري أقل لكن مادتها أعمق.

بخلاف الصحافة الشعبوية أو الجماهيرية التي تنقسم إلى قسمين؛ قسم رسمي يتمثل في الصحف القومية اليومية التي أصبحت عادة شرائها من مستلزمات الحياة اليومية للمواطن الذي اعتاد أن يقرأ العناوين العامة لها دون الولوج في التقاط تفاصيلها الدقيقة من أخبار أو مقالات أو تحقيقات. وقسم ظهر بشكل سريع في ظل النجاح المتأرجح زمنيا ومكانيا أيضا لثورة الخامس والعشرين من يناير والمرهون وقتئذ بالقضاء على حالات الانفلات الأمني، هذا القسم راح يؤجج لثقافة الرفض للنخبويين

باعتبارهم من سمات العقود الثلاثة المنصرمة،بل وعمقت الفجوة بين صحافة تدعو إلى نهضة العقل وبين الأغلبية التي ارتأت أن صحافة النخبة هي التي ساعدت الطغاة في الوصل إلى الحكم عن طريق التأييد المطلق وفي هذا لغط شديد.

هذا اللغط تبين في انتفاء وجود صحافة الأغلبية المطيعة قبل الثورة، ولولا وجود صحافة غير موجة سياسياً ما قامت ثورة من الأساس، لأن الكلمة الحرة التي لم تقيدها هراوات البوليس، ولا الغازات السامة والدخانية هي التي دفعت الآلاف من الشباب المثقف نحو رفع راية العصيان في وجه نظام مبارك السياسي ومن بعده نظام المعزول بقوة الشعب محمد مرسي، والذي كانت الصحافة المصرية لاعبا رئيسا في عزله وإقصاء جماعته سواء الصحافة النخبوية على حد زعم الزاعمون أو الصحافة الشعبية، وليت الأغلبية المطيعة تتذكر التوصيف الذي أطلق على شباب الثورة وقت اندلاعها بأنهم شباب الفيس بوك والماوي والكيبورد والثوار الافتراضيين، أي أنه لم نر توصيفاً دينياً يذكر لهؤلاء الثوار، ولو سألت أحداً منهم عن مصادر ثقافته لأجابك على الفور بأنه استقاها من كتابات النخبة أي أولئك الذين تحروا الدقة والموضوعية في الرصد والتحليل لكل ممارسات النظام السياسي البائد.

ولابد أن نؤكد قبل الخوض في سرد مواقف تاريخية تعكس العداء الموجه لصحافة النخبة، لنا أن نشير إلى أن هذا النمط الصحافي الرصين استطاع عبر سنوات أن يكسب ثقة المواطن الذي أصبح بالضرورة مشاركاً

فاعلاً في أحداث مجتمعه، من خلال النقد المباشر والخفي لأية مظاهر فاسدة على الصعيدين السياسي والاجتماعي، بخلاف أصحاب الصحافة الموجهة لأغلبية مطيعة مستهدفة، فعملت الأخيرة إلى اتباع سياسات التخزين المعرفي، مع الحرص على تجنب المواجهة مع القوى المؤثرة في صناعة القرار السياسي، وأيضاً القصور في التفاعل مع الأحداث الإقليمية والدولية.

والفرق واضح وجلي بين الصحافة النخبوية التي لا تعني أبداً صحافة الصفوة من المثقفين بل صحافة العقل والفكر، وبين صحافة الأغلبية المطيعة التي تجسدها صحافة التيارات الدينية الإسلامية المعاصرة، حيث الأولى تسعى جاهدة إلى تثوير الثقافة وتحريك العقل بخطى ثابتة نسبياً نحو تأويل الحراك الذي يعيش فيه الفرد، أما الأخيرة فهي اعتادت اقتناص الفرصة للتغلب على حالة ركودها المستدام في المشاركة في هذا الحراك، لذا نجد في الوقت الذي تحرص عليه صحافة النخبة في الحديث عن الظروف الراهنة ومشكلات الوطن المتعلقة بمعارك الانتخابات البرلمانية المقبلة والتنظير الذي قد يبدو مملا بعض الشئ أيضا نتيجة طرحات فكرية غارقة في المصطلحات والمفاهيم، وكيفية تحويل شعارات الثورة اليناyرية عيش حرية عدالة اجتماعية من مجرد رموز صوتية إلى خدمات وطروحات ملموسة ومعاشة وهي الملامح التي نرى بعضها يتحقق من خلال رئيس قائد وحكومة أعتقد ويعتقد كثيرون غيري أنها أكثر رشدا واحترافا بقيادة المهندس إبراهيم محلب. بينما نجد صحافة أغلبية السمع والطاعة تلقينا

بقوة في بحر مائج مضطرب وسط قضايا خلافية بل تكاد تكون هامشية لا يصح الحديث عنها في ظل وطن يعاني ويكابد أكثر مما يطمئن ويستقر.

الغريب أن التاريخ دائماً يحمل صفعات قوية لأولئك المراهنين على صحافة لا تقبل سوى السمع والطاعة لأوامرها ونواهيها، وهو ذاته – التاريخ – يحفظ صوراً بعينها لبعض رموز صحافة النخبة التي استطاعت أن تحرك المياه الراكدة، ولا نقصد بالصحافة ونحن نتحدث عن ميزان التاريخ الذي وازن بين النخبة والأغلبية الصحافة الورقية المطبوعة التي لم تظهر إلا حديثاً، إنما نقصد بها حركة الفكر المغايرة للثقافة السائدة والمسيطرة على القلوب والأسماع دون الفهم والإفهام.

فالإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والمحدِّثين صاحب المسند، يمثل نموذجاً نخبوياً ضد أغلبية السمع والطاعة، ولا يمكننا وصف موقفه بالمتشدد، بل بالعقلاني والقدرة الجلية المستنيرة في فهم آيات كتاب الله تعالى ومحنته التاريخية المعروفة أيام ملك المأمون والمعتصم والواثق، حتى الإمام ابن تيمية الذي احتكر الفكر الديني المتشدد آرائه دون منازع أي بالوصف الإعلامي حصرياً، هو نفسه أيضاً نموذج للنخبة المثقفة في زمانه والرافضة لحركات الجمود وعزل العقل عن مناخ مجتمعه المعاش.

ويعد الفقيه ابن حزم الأندلسي النموذج الخصب لثقافة النخبة في مواجهة الأغلبية الموصوفة بالسمع والطاعة دون مناقشة بفضل بعض السياسات الثقافية القمعية المانعة والرافضة لأي تجديد، والتاريخ يذكر كيف أن الخليفة الأندلسي المتعضد بن عباد أمير إشبيلية جمع كتبه

وأحرقها لأن فكره لم يوافق المذاهب الشائعة والشعبوية في ذلك الوقت، وفي ذلك يقول ابن حزم:

(دعـــوني مــــن إحـــراق رق وكاغـــد وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري)
(فإن تحرقوا القرطاس لم تحرقوا الذي تضـمنه القرطـاس إذ هـو في صـدري)
(يسـير معـي حيـث اسـتقلت ركـائبي وينـزل أن أنـزل ويـدفن في قـبري)

أما حينما نصل إلى المعارك الصحفية الورقية بين النخبة والأغلبية فخير مثال عليها العميد الدكتور طه حسين، الذي ينال القسط الأكبر من الغضب والمنع والرفض والمصادرة من جانب التيارات الدينية بوصفه أحد الخارجين على ناموس ثقافة السمع والطاعة، وأنا شخصياً حضرت عشرات الندوات التي نظمتها بعض التيارات الدينية خصيصاً للنيل من قامة طه حسين، وبلغ النيل منه جوانب فكره وشخصيته وعمله العام، وهو بلا شك يمثل منعطفاً خطيراً في حركة العقل والفكر والثقافة عموما في مطلع القرن العشرين بما أسهم به من منهج علمي قد يتعارض مع ثقافة الأغلبية التي تتميز بالتحشيد.

ولطه حسين نفسه قصة مع أصحاب ومؤيدي صحافة الأغلبية الطيعة وهو الشيخ المهدي، فكانت للكتور طه حسين مقالات نشرت بجريدة السفور انتقد فيها أسلوب ومنهج الشيخ المهدي في دراسة وتدريس الأدب العربي، وهو أحد المنتمين للنزعات الأصولية السلفية بينما ينتمي طه حسين إلى صحافة النخبة، فما كان من الشيخ المهدي وكعادة الأصوليين الذين لا يقبلون المناقشة لم يلجأ إلى كاتب سطور النقد بل لجأ

إلى الجامعة وتقدم بطلب لشطب الدكتور طه حسين من بين خريجي الجامعة ودشن أيضاً الشيخ المهدي مجموعة من المقالات لمهاجمة فكر طه حسين، ولولا جرت المصالحة بينهما لتطور الأمر في صالح أغلبية السمع والطاعة.

ونظراً لغياب الحضور الثقافي لطه حسين وغيره من أمثال قاسم أمين والشيخ علي عبد الرازق في فترة الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي كان ذلك كفيلاً لأصحاب الدعوات التكفيرية لتحشيد الأغلبية المؤهلة لتقبل ثقافة السمع والطاعة برفض هؤلاء المفكرين جميعاً، بل ووضع تصور مطلق بأن الصحف التي كانوا يكتبون بها تسير على دربهم ووفق هواهم المنشود. وهذه المعارك التي شنها الأصوليون ضد مفكري النهضة تعكس ضيق أفق هذه التيارات بالمناهج النقدية الحديثة وبالطروحات الفكرية التي تتجه نحو التنوير، ليس هذا فحسب بل وقدرتها في تأجيج مشاعر الغضب والكراهية تجاه المنادين بالأخذ بأسباب النهضة.

وربما تظل الحرية هي البقعة الفاصلة بين صحافة النخبة وصحافة الأغلبية المطيعة، والحرية رغم أنها حق إنساني مشروع، إلا أنها أصبحت مشكلة واقعية إذا ما اقترنت بارتكاب فعل الكتابة الصحفية، وليس غريب أن تكون هولندا هي أول بلد يتمتع بحرية الصحافة في العالم، عام ١٦٩٥ م، ولكن في ظل المد الثقافي السمعي والتعبوي نسبة إلى التعبئة تشكل الحرية تلك خطراً على مطامح ومطامع البعض ممن ينظر إلى الصحافة على أنها مهنة كشف المستور والمسكوت عنه، فبات من الأحرى قمع تلك الحرية التي لا ينبغي أن تنعم بها الصحافة لا سيما المستنيرة

والتي أطلق عليها على سبيل الخطأ غير المقصود صحافة النخبة.

ويخبرنا كتاب التاريخ أنه في الأنظمة الدكتاتورية عادة ما يلجأ الحاكم إلى صحافة الأغلبية التي يحكمها منطق السمع والطاعة في مواجهة أصحاب العقول النافذة والناقدة لسياساته غير الديموقراطية، وهو في ذلك يدرك حقيقة مفادها أن المعركة بينه وبين صحافة النخبة هي معركة عقول في المقام الأول، ويعلم أن وجود حفنة من العقلاء والمفكرين يعد أمراً مقلقاً لبسط نفوذه في البلاد، فيعمل جاهداً على تكريس سلطاته وهو على علم بأن أرض المعركة تبدأ من داخل الرأس وليس عن طريق الرصاص، أما إذا فشل في استقطاب صحافة الأغلبية وتكميم أفواه صحافة النخبة فإنه يلجأ عادة إلى استخدام الأساليب القمعية المعتادة من حبس وتعذيب ومصادرة واستخدام القوة.

ولا ينكر جاحد أن التيارات الدينية نجحت في صناعة صحافة خاصة بها استطاعت من خلالها تمرير بعض الطروحات الخاصة بأيديولوجياتها ضمن هذه الصحف التي وجهتها إلى الأغلبية المؤهلة إما للسمع والطاعة أو لقبول الأفكار المقدمة إليه سواء كانت دينية أو سياسية أو اجتماعية، ونجحت في استغلال فشل وتقاعس كافة المؤسسات الدينية التي لم تكن تخاطب سوى الصفوة واستخدمت في ذلك خطاباً دينياً قلما ما وصل إلى رجل الشارع البسيط، لذا هذا المواطن هرع سريعاً نحو نمط صحافي يتحدث عن وجهه وملامحه ومشكلاته.

ووسط ما يجد هذا المواطن نفسه في صحافة موجهة يجد خبراً أو

معلومة أو فتوى أو رأياً دينياً سرعان ما يأخذ به ويعده صواباً محضاً. ولذلك تجد هذه الصحف عدداً لا بأس به من القراء الاعتياديين أي الذين يبحثون عن مخدر مؤقت لأوجاعهم وهمومهم اليومية، وتلك الصحف نجحت بالفعل في خلق عالم افتراضي أشبه بمواقع التواصل الاجتماعي مثل الفيس بوك وتويتر بينها وبين أغلبية السمع والطاعة، هذا العالم الافتراضي هو جنة البسطاء المستقبلية التي تتحدث عن خبر القبض على أحد رموز النظام السابق بتهمة فساد جديدة، أو التشهير بفنان أو فنانة بسبب أعماله التي تضعف الدين ووجوب محاربته ومحاربة ما يبثه من فجور، أو الحديث عن استشراف غد مشرق بإذن الله تعالى.

نقطة مضيئة للصحافة الوطنية المصرية الخالصة وأيضا الصحافة العربية المتألقة التي تابعت بغير ملل أو كلل إنجازات مصر المحروسة وهي تدشن مشروع العام قناة السويس الجديدة الحلم المصري الأصيل الذي تحقق بالفعل ولا عزاء لغير الوطنيين.

نظرية الدولة الدينية عند جماعات الإسلام السياسي

تصاعد العمليات المسلحة صوب بعض الدول العربية بشأن زعزعة استقرار الأوطان، وفكرة الظهور النسبي كل فترة للجماعات والتيارات الدينية السياسية بالمنطقة أعاد إلى الأذهان فكرة وكالة الدين التي تصر قيادات هذه الجماعات البائدة فكريا وحضاريا على استغلالها وجعلها حقا مكتسبا لها دون غيرها من المؤسسات الدينية الرسمية التي تضم آلاف العلماء ورجال الدين الأكفاء. وارتداد تلك الجماعات المتطرفة إلى

ممارساتها التاريخية المتمثلة في الاغتيالات وأعمال القتل والتعذيب الوحشي إزاء المخالفين هو نوع من الاعتراف الصريح بالفشل في إيجاد خطاب فكري لها، أو القدرة على الوجود الطبيعي السلمي لأيديولوجياتها بين فئات المجتمعات العربية التي باتت أكثر اهتماما بمحاصرة الجائحة الكونية كورونا أكثر من اهتمامها بجماعات بعينها تظهر وتختفي وتتواري خلف مسميات متعددة كالجماعات الإسلامية، والإخوان المسلمين والتكفير والهجرة والتبليغ والدعوة والسلفية الجهادية والسرورية والعائدين من أفغانستان وتنظيم الدولة وولاية سيناء وأنصار بيت المقدس وجبهة النصرة والمرابطين وغير ذلك من المسميات التي وإن تعددت لم تستطع الفكاك من شرك التطرف والغلو وتكفير المجتمع وإراقة الدماء للعسكريين والمدنيين على السواء .

ورغم تعدد التيارات والجماعات السياسية ذات المرجعية الدينية في الوطن العربي وكثرة شعاراتها الشعبوية التي جاءت بها إلا أن هذه التيارات خلت تقريباً من صياغة مشروع إسلامي كان من المفترض والمتوقع أن تأتي بها، وهذا من شأنه أن يدهش القاصي والداني المتابع للشأن العربي، فقيادات الجماعات الدينية اكتفت بإدلاء التصريحات السياسية والفتاوى الدينية حول بعض القضايا الاجتماعية المعاصرة وأحياناً إثارة الغبار عن قضايا فقهية انتفى ذكرها منذ قرون. ورغم وجود حالة التناطح تلك إلا أن المشهد الحالي لهذه التيارات والجماعات والطوائف أثبت انتفاء تام لوجود مشروع إسلامي يحقق نهضة أمة لا تزال تعاني من مخاض نهضوي لم يكتمل بعد.

وكنت أظن أن حالة المد والصعود السياسي لبعض التيارات الدينية ستدفعها لتبني وصياغة وتشييد مشروع إسلامي تنويري حسب شعاراتها الدينية وقت الانتخابات التشريعية والتي دغدغت عقل وقلب الناخب بكافة البلدان العربية التي شهدت ما يعرف بثورات الربيع العربي، إلا أن هذا المشروع المنتظر لم يظهر حتى وقتنا الراهن، وربما توافرت مجموعة من الأسباب والعوامل هي التي أسهمت بصورة غير مقصودة في تأخر ظهور المشروع الإسلامي النهضوي الذي لا أتوقع ظهوره لفكرة التعانق بين الديني والسياسي لتحقيق مطامع ومكاسب ومطامح شخصية بحتة .

وأزمة غياب المشروع الإسلامي لدى هذه التيارات التي تعلن ليل نهار أنها ذات مرجعية دينية يكون سببها الرئيس في أنها تخاف من أن تموت الثورة بالسكتة القلبية أو الدماغية وهذا معناه أن تعود الأحزاب الدينية إلى نقطة الصفر من جديد، وربما تعاني أيضاً من سلسلة من الانهيارات السياسية التي قد تعصف بمستقبلها في تسيد المشهد الاجتماعي والسياسي في مصر.

فعلى سبيل المثال، أسفر المشهد السياسي في الوطن العربي هذه الأيام عن تعرض جماعة الإخوان المسلمين ذات الرصيد التاريخي الضارب في القدم منذ ١٩٢٨ لحملة انشقاقات واسعة أسفرت عن وجود جماعات متعددة وجيوب صغيرة متعددة ربما ستعلن استقلالها آجلاً عن المؤسسة الرسمية والشرعية للجماعة التي لم تستفد من تجربة الحظر والمنع والقمع لها طوال عقود بعيدة. ومشكلة انتفاء وجود مشروع إسلامي لدى التيارات

الدينية ومنها جماعة الإخوان والتكفير والهجرة تلك الفئة التي أباحت قتل رجال الشرطة وأسرهم في ثمانينيات القرن الماضي بغير رحمة أو إنسانية عن طريق رجال لا يفطنون كنه الدين الإسلامي ومقاصد الشريعة الإسلامية والتمايز الفقهي بين المذاهب، ومرجعه أن ثقافة الانشقاقات عن تلك الجماعات الراديكالية الأكثر غلوا تمثل سيفاً تاريخياً يضرب جذورها، ومن ثم لم تستفق التيارات المتطرفة الموسومة بالإرهاب واستخدام القوة من تحدياتها الداخلية حتى تشرع في صياغة مشروع نهضوي ولذلك فهي تسير على نفس الخطى المنهجية لجماعة الإخوان وتنظيم القاعدة بغير إضافات أو مراعاة لتغير الزمان والمكان لهذه الخطى .

وكانت فكرة الانشقاق قد بدأت مبكراً حينما تقدم المهندس أبو العلا ماضي بطلب في التاسع من يناير عام ١٩٩٦ إلى لجنة الأحزاب بمجلس الشورى المصري لإنشاء حزب جديد يحمل اسم حزب الوسط، ولكن محاولته تلك باءت بالفشل وانتهت الفكرة في ذلك الوقت باعتقال أصحابها للاعتقال والسجن والمحاكمة القانونية. وهذا الخروج غير الشرعي على ثقافة السمع والطاعة قد كسر قاعدة الراديكالية الصارمة داخل الجماعة، والأغرب أن نائب المرشد العام للجماعة آنذاك مأمون الهضيبي أعلن أن الإخوان لم يطلبوا إنشاء حزب سياسي، وأن الذين ذهبوا لإنشاء حزب تصرفوا من أنفسهم، وفي الوقت نفسه أعلن المرشد العام مشهور استياءه العام من تصرف مستقل لا يعبر عن رأي الجماعة، وأعلن عن هذا صراحة بقوله "الموضوع باختصار يتلخص في أن بعض شباب الإخوان

كانوا قد فهموا خطأ موافقة الجماعة على تأسيس حزب وتصرفوا من تلقاء أنفسهم دون استشارة الجماعة، وأعدوا برنامجاً وجمعوا توكيلات من خلف القيادة وقدموا الأوراق إلى لجنة شئون الأحزاب، وكان ذلك بمثابة مفاجأة للإخوان، فكان القرار ألا شأن لنا بهذا الحزب" .

ورغم هذا الانشقاق الذي كان من دوره فتح آفاق جديدة لدى الجماعة لتدشين مشروع نهضوي تنويري يخدم مصر كلها وليس الجماعة وحدها إلا أن هذا لم يحدث، بل ولم يفكر أحد بصورة جدية وجادة في صياغة ملامح أولية لمشروع إسلامي كبير. وهذا كان شيئا منطقيا لجماعات أفتى قادتها بالهروب إلى أحضان الجبال لاعتزال المجتمعات التي وصفوها بالكافرة استنادها لطروحات سيد قطب واجتهاداته التي صوبها ضد نظام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، فكان همهم الأول النزوح إلى الجبال اعتزالا لمجتمع بعيد عن الدين والشرع والذي أسفر عن استخدام كافة أنواع البطش والقتل ضد المدنيين لاسيما الأقباط في نهايات فترة الثمانينيات من القرن العشرين .

وربما هذا التخلي الإخواني في السابق عن الحزب الوليد هو الذي أعطى الضوء الأخضر للمؤسسة السياسية في مصر آنذاك برفض الحزب ومن ثم حبس أعضائه. وبعد أعوام عديدة رأينا أن المشهد السياسي الحزبي في مصر شهد مولد حزبي الوسط رهين المنع والقمع قديماً، وحزب الحرية والعدالة صوت جماعة الإخوان، ورغم ذلك وجدنا مجموعة من الشعارات اللغوية فقط دون وجود مشروع نهضوي يعكس ثقافة هذه الأحزاب ذات

المرجعية الدينية. وهذا يدفعنا إلى التأكيد بأن فكرة الوصول السياسي هي الحلم الأخير لهذه التيارات وما استخدام الدين إلا وسيلة سهلة لاستقطاب الرأي العام لكن وجود خطة سياسية ومنهج واضح فهي أمور لم ترد أصلا بخاطرهم .

وهذا الانشقاق في صفوف جماعة الإخوان لم يكن وليد الصدفة، أو له السبق في الخروج وشق عصا الطاعة، فلقد سبقتها الجماعات الإسلامية تحديداً في عام ١٩٨١، حينما تعرضت جماعة الجهاد لأول انشقاق سياسي مبكر في صفوفها حينما أعلن عبود الزمر تنصيب نفسه أميراً لتنظيم الجهاد وكان ذلك عقب اغتيال الرئيس الراحل العظيم محمد أنور السادات، ورفض آنذاك عمر عبدالرحمن، وأرسل وقتها فتواه الشهيرة بأنه لا تجوز الإمارة لأسير، فأعقبه عبود الزمر بفتوى مضادة مفادها بأنه لا تجوز إمارة ضرير .

وبمجرد تبادل إطلاق التصريحات والفتاوى تفجرت مجموعة من الانشقاقات داخل الجماعة الإسلامية رغم حدوث ترضية بين الاثنين على أن يتولى عمر عبد الرحمن إمارة الفتوى في حين يتولى عبود الزمر إمارة الجناح العسكري، وظهرت فيما بعد جيوب عديدة للجماعة مثل جماعات الناجون من النار، والحركيون، والشوقيون، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجماعة القمري وجماعة التكفير والهجرة التي اتخذت من محافظة المنيا مركزا رئيسا لها ومارست شتى فنون الجهل الديني واستقطاب البسطاء من الشباب والنساء، فضلا عن ارتكاب كل صنوف الترويع والهلع والقتل

بشأن المواطنين ورجال الشرطة. وتاريخ التطرف والإرهاب وأعمال القتل والعنف بمحافظة المنيا معروف ومسجل بالوثائق والسجلات وأروقة المحاكم أيضا، حيث إن المحافظة في فترة الثمانينيات وأوائل التسعينيات من القرن الماضي شهدت أحداثا دموية من جانب الجماعات الإسلامية بشأن ضباط الشرطة والمسلمين المدنيين أيضا وكذلك الأقباط، فضلا عن الفتوى الشهيرة التي أطلقها مفتي جماعة التكفير والهجرة آنذاك بضرورة اعتصام أفراد الجماعات الإسلامية بالجبل بمركز ملوي بعيدا عن المجتمع الذي رآه كافرا ولا ينتمي إلى الإسلام، وهؤلاء رغم أنهم قد أعلنوا توبتهم عما ارتكبوه من جرائم أرى أن صنيعهم لم ينفك عن خدعة أتموها باقتدار من أجل مراوغة الجهات الأمنية.

وهذه الجماعات المنشقة عن الجماعة الأم لهثت وراء تدشين مجموعة من الشعارات والصيحات مثلها مثل جماعة الإخوان دون تحديد واضح عن وجود مشروع إسلامي يحقق نهضة هذه الأمة ويضبط سلوكياتها وييسر شئون الراعي والرعية .

وبعد أن عانت الجماعات الإسلامية من سياسات مبارك الأمنية التي تمثلت في الاعتقال والمطاردات الأمنية والعزلة الاجتماعية والسياسية التفتت بعض الأصوات الإسلامية إلى اللجوء القسري لما يسمى بفقه المراجعات، والتي ارتكزت على مراجعة بعض الآراء الفقهية لدى تلك الجماعات والخاصة بالجهاد وتبرير العنف المسلح، وبدت هذه الأصوات أكثر وسطية رغم رفض الجماعة الإسلامية لهذا التصرف، حتى أن بعضهم

نال حتفه على أيدي قيادات الجماعة نفسها. إلا أن هذه المراجعات الفقهية لآراء الجماعات الدينية المتشددة لم تتوقف بل تحولت بشدة نحو السلمية وطرحت خطاباً فقهياً يفسر تحولها عن سياسة العنف. ولنا أن نتساءل: هل يمكننا اعتبار مثل هذه المراجعات مشروعاً إسلامياً؟ بالقطع لا، فهناك فرق كبير بين نقد الحالة الراهنة، وبين استشراف مستقبل وفق خطوات منهجية وأسس واعتبارات وثيقة الصلة بالمتغيرات الثقافية والاجتماعية لوطن ما، وهذا ما لم تفعله الجماعات الإسلامية التي أعلنت توبتها عن أفعالها الدموية السابقة .

وفي هذا الصدد أؤكد مرة أخرى بأنه من غير المنطقي قبول المراجعات التي قدمها قيادات وأمراء هذه التيارات التكفيرية التي اعتادت إباحة قتل المواطنين وإطلاق فتاوى تكفير المجتمع وإعلان ضلالته وفسوقه، ومن غير المنطقي أن نصدق ان ثمة أقوال أو كتابات أصدرها قيادات الجماعات المتطرفة زاعمة بأنها كانت على جهل وهي الآن في صواب من أمرها، لأنها مارست لسنوات طويلة وبعيدة أعمال القهر والاستبعاد الاجتماعي صوب كل طوائف المجتمع .

ولا شك أن هذا الانشقاقات الداخلية في التيارات الإسلامية في مصر واكبها انشقاق عالمي لاسيما التناطح السياسي بين المرجعية الدينية في إيران (المرشد العام) وبين الرئيس، بالإضافة إلى تردي المشروع الإسلامي في السودان وقيام حسن الترابي بتشكيل ما عرف وقتها بالأممية الإسلامية، وصعود التيارات الليبرالية القومية، أدت هذه الإحداثيات إلى

غياب المشروع الإسلامي بصورة واضحة. فمعظم التيارات والجماعات الإسلامية التي بزغت منذ الثمانينيات خرجت من عباءة الثورة الخمينية في إيران، ولكن حدث لغط شديد عند تطبيق المرجعية الإيرانية في بيئات غير مؤهلة لذلك أولاً، ولاختلاف النموذج الإيراني عن المجتمعات العربية والمصرية تحديداً من جهة أخرى.

والمشكلة قد لا تتمثل في النموذج الإيراني الحاكمي إنما في طبيعة التركيب المجتمعي في مصر، والذي يأبى وجود حاكمية تشترط السمع والطاعة دون مناقشة، كما أن طبيعة التركيب الاجتماعي الثقافي في مصر من شأنه ألا يقبل تطبيق أي فكر سياسي ذي صبغة دينية دون مناقشة أو مراجعة وتفنيد.

والذي دعم فكرة عدم قبول النموذج الإيراني السياسي ذي التوجه الديني المتشدد أنه لم يقابله وجود نموذج مقارب مصري الصنع، فرغم أن التيارات والجماعات الدينية في مصر تتسم بسمات مميزة عن غيرها من التنظيمات السياسية مثل وجود مرجعية فقهية وقدرتها على التنظيم السري والتحشيد وتوجيه العامة، إلا أنها افتقدت ملمحاً رئيساً وهو اختفاء نموذج أو مشروع نهضوي يمكن تطبيقه، وأصبحت الآراء المتعلقة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودرء المفاسد والحاكمية وحديث الرقائق وقصص الصحابة هو المشروع الإسلامي النهضوي، لكنه ليس على غرار مشروع الإمام المجدد محمد عبده.

وبمجرد أن انخرطت التيارات الدينية في المشهد السياسي عقب انتفاضة يناير التي قام بها حفنة من الشباب غير المؤهل سياسيا والمؤطر

بأفكار دعائية سرعان ما استدعت تلك التيارات روح النموذج الإسلامي من جديد ولكن هذه المرة من أجل اعتلاء سدة السلطة التشريعية والرقابية وربما التنفيذية بعد ذلك. فبدأ بزوغ مشروع نظري وورقي ظهر بوضوح أثناء خوض الإسلاميين انتخابات مجلس الشعب الأخيرة والتي نجم عن هذا النموذج النظري توافد الملايين نحو غزوة الصناديق من أجل إعلان الانتصار الإسلامي الذي لا يعرف ضد من. ولكن بمجرد أن وصلت التيارات الإسلامية إلى مقاعد البرلمان وما أعقبها من مقاعد بالنقابات المختلفة أفل من جديد نجم المشروع الإسلامي الذي لم يكن يعتمد على خطة مستدامة يمكن تطبيقها إذا صلحت النوايا.

إن مشكلة النموذج الإسلامي المصري الذي بدأ في سبعينيات القرن الماضي هو أسلمة المجتمع المصري، والقائمون على هذا النموذج لا يزالوا يظنون بأن المجتمع كافر ويحتاج إلى تطهير وتغيير، رغم أن البلاد منذ تلك الفترة شهدت أكبر حركة تأليف إسلامية ونشط الدعاة بصورة غير مسبوقة، ويكفي أن نشير إلى ظاهرة الدعاة الجدد الذين تسيدوا المشهد الفضائي ورغم ذلك ادعت ولا تزال تدعي بعض التيارات الدينية أن المجتمع المصري يعيش منذ سنوات في ضلال غير مبالين بظواهر جيدة تفشت في المجتمع كان أبرزها الفضائيات الدينية والسلاسل الدينية التي أصدرتها وزارة الأوقاف المصرية ومشروع مكتبة الأسرة وتعدد المجلات والمطبوعات الدينية، ورغم ذلك يجتهد الإسلاميون في أسلمة الوطن!!

لكن أكبر عائق وقف ولا يزال يقف أمام النموذج الإسلامي السياسي الاستشرافي هو بدعة الغلو في التكفير، وهو الأمر الذي دأبت التيارات المتشددة في استخدامه بصورة موحشة، والمشكلة التي أسهمت في بزوغ هذه البدعة هي أن معظم المنتمين لاسيما القادة إلى هذه التيارات المتشددة فهموا خطأ ما أشار إليه ابن تيمية في تكفير التتار والجهاد ضدهم، الأمر الذي دفع الجهاديين في تعميم الفكرة بالمناداة بتكفير المجتمع والمؤسسات الرسمية في البلاد، بدعوى أن هذه المؤسسات لا تطبق شرع الله، رغم أن كافة المؤسسات الحكومية بها مساجد خاصة لإقامة فريضة الصلاة، ناهيك عن الملصقات الدينية المنتشرة بالمكاتب والطرقات بصورة كبيرة.

إذن إذا أردنا في اختزال شديد أن نحدد ملامح المشروع الإسلامي الذي كان ينبغي أن يقوم على النهضة والتنوير إلا أنه قام على مرتكزات أخرى ربما كانت وليدة اللحظة السياسية الراهنة آنذاك فإنها لا تخرج عن مواضعات فقهية ترتبط بفكرة الخروج على الحاكم الفاسد، وتكفير المجتمع، والغلو في تكفيره، والجهاد ضد أعداء الإسلام، وتطبيق الحاكمية، وتغيير المنكر باليد والقوة، وأخيراً الحسبة بوصفها فرض عين، لكن هذا المشروع لم يكتب له الاستدامة لأنه ارتبط بفترة زمنية محددة، كما ارتبط الخطاب السياسي للأحزاب الدينية بفترة التصويت الانتخابي وبعده اختفى صدى هذا الخطاب، كما أن المشروع الإسلامي الذي ظهر منذ السبعينيات واستمر خلال أكثر من ثلاثين عاماً لم يخرج عن كونه نموذجاً جهادياً فقط دون التطرق إلى تأسيس خطاب نهضوي يتسم بالحداثة والجدة

والاستمرارية بل كان مجرد رد فعل لتحولات السلطة السياسية في مصر.

وجدير بأن نشير إلى سبب رئيس دفع بعض التيارات الدينية السياسية إلى عدم تبني مشروع إسلامي استشرافي للبلاد، وهو أنها تتميز دونما استثناء بملامح مثل إلغاء الفردية وفرض التنميط الجمعي واتباع سياسة القطيع، الأمر الذي استبعد تماماً وجود طروحات فكرية ثابتة، بالإضافة إلى انشغالها المستدام والمحموم في الحصول على النفوذ السياسي واعتلاء المنصة الخطابية بانفراد لا يقبل التعددية .

مسارات التكفير والتفكير الديني

لم أنشغل بالاهتمام بخبر وفاة الكاتبة نوال السعداوي التي اشتهرت إلكترونيا بفضل الوسائط التكنولوجية الاجتماعية أكثر من شهرتها وقت حياتها ولم أكترث بحجم المناقشات التي تعدت حدود التجاوز الأخلاقي ما بين شماتة أو سخرية لا لعدم اقتناعي بجملة أفكارها فحسب، بل لشئون أخرى تعد أكثر أهمية لأنها تتصل بواقع وطن ومستقبل أمة.

فمنذ بزوغ ثمة تصريحات دعائية بعودة العلاقات المصرية التركية على المستوى الدبلوماسي سواء كان رسميا أو عبر مناشط اجتماعية شتى، وأيضا عزم الحكومة التركية إغلاق وإيقاف البرامج المعادية لمصر حكومة وشعبا وربما أيضا غلق قنوات بعينها وتحويل مساراتها الإعلامية مثل قناتي (مكملين) و (الشرق) وغيرهما من القنوات التي أعتبرها مشبوهة المحتوى والتمويل والقصد وكل ذكريات المراجعات الفقهية التي قامت بها جماعات التكفير والهجرة والجماعة الإسلامية مرورا بجماعة الإخوان المسلمين

والجهاد . تقفز خارج مستودع الذكريات لتتمثل من جديد حقيقة مفادها أن طروحات هذه الجماعات وإن كانت بائدة بحكم التراجع الزمني إلا أننا لا يمكن إغفال وحشية وقمعية هذه الطروحات الفكرية التي قيدت حركة التفكير لعقود بعيدة لدى أنصارها.

وربما استعادت تلك الذكريات حركتها حينما قرأت على شبكات التواصل الاجتماعي أن الحكومة المصرية ربما تقوم بحركة مصالحات كبيرة مع رموز هذه الجماعات، وبات لدي تخوف كبير من ظهور التيارات الراديكالية المؤجلة زمنيا من جديد، هذا التخوف رصدته حينما طالعت الهجمة الشرسة صوب الكاتبة نوال السعداوي التي طالما طالبت بالسفور وإطلاق تصريحات مخالفة تماما لكل شرائع السماء وليست شريعة الإسلام فحسب لكن هجوم كثيرين عليها عقب وفاتها رغم يقيني بأن الآلاف لم يقرأوا سطرا واحدا لها لأنها لم تتمتع بجماهيرية القراءة كما الحال لنزار قباني أو غادة السمان أو حتى الروائية أحلام مستغانمي لكن شراسة هجوم أمراء الدم عليها واجترار تصريحاتها السابقة لفت انتباهي إلى تصاعد المد الراديكالي المتطرف من جديد.

وفكرة أن تقوم الدولة المصرية شديدة الوعي هذه الأيام بحاضرها ومستقبلها بثمة مصالحات مع أولئك الذين سفكوا الدماء واستباحوا خصوصية المواطنين وقتلوا الآلاف من ضباط الشرطة والجيش في مصر والجنود المرابطين أيضا على حدودنا الطاهرة لا آمان لهم ولا يمكن الاعتراف بمسألة تراجع أعضاء هذه الجماعات عن أفكارها لأسباب مجتمعة لا يمكن تقليص حدة الانتباه صوبها.

فعلى سبيل المثال جماعة التكفير والهجرة التي سعت إلى تقويض المجتمع المصري منذ سبعينيات القرن الماضي ولا تزال عبر جنودها المترامين في الجامعات المصرية والمؤسسات التعليمية مستترين بغير ظهور علني فقط ظهورا في مناسبات متفرقة مثل اعتلاء جماعة الإخوان سدة الحكم في مصر وقيامهم بتظاهرات تطبيق الشريعة الإسلامية يوم الجمعة من كل أسبوع طيلة عام كامل، وأخيرا تحالفهم غير المبرر مع جماعة حسن البنا وقت اعتصام الجماعة في رابعة العدوية. هذه الجماعة التي ظهرت تحديدا داخل السجون المصرية عام ١٩٧١ بقيادة شكري مصطفى الإخواني السابق الذي قرر اعتزال الجماعة ومنهجها وعزمه على تكوين جماعة دموية جديدة تبث الفكر المغلوط وتشيع الرعب من جديد في ثنايا المجتمع المصري، وتذكر الموسوعة العالمية ويكيبيديا عنها أنها بعد إطلاق سراح أفرادها تبلورت أفكارها واستقرت، ثم كثر أتباعها في صعيد مصر وبين طلبة الجامعات خاصة تحديدا في محافظتي المنيا وأسيوط وأظن أنهم باقون بكثرة حتى وقتنا الراهن ولا أعلم إذا ما كانت السلطات الأمنية في مصر تتبع تحركاتهم داخل الجامعات المصرية ونشر أفكارها من جديد لاسيما وجود أساتذة أكاديميين يتبعون نهج الجماعة المشبوهة، وواقتصرت أدبيات جماعة التكفير والهجرة بتكفير الحكام على وجه الإطلاق دون رحمة أو فرصة للمصالحة والاستتابة؛ لعدم حكمهم بشرع الله كما أنها بالغت في تكفير المحكومين وهم المواطنون لرضاهم بهم.

ولم يقتصر حد التكفير لديهم عند الحكام والمحكومين، بل تناول أيضا العلماء والشيوخ الأجلاء أصحاب الفكر الديني المستنير؛ لعدم تكفيرهم

أولئك الحكام، وتشير الموسوعة أيضا إلى أن الهجرة هي العنصر الثاني في تفكير الجماعة ويقصد بها اعتزال المجتمع الجاهلي عزلة مكانية وعزلة شعورية وتتمثل في اعتزال معابد الجاهلية – يقصد بها المساجد تحت حكم العلمانيون – ووجوب التوقف والتبين بالنسبة لآحاد المسلمين بالإضافة إلى إشاعة مفهوم الحد الأدنى من الإسلام.

وهذه الهجرة لم تكن معنى ضمنيا افتراضيا بل صار حقيقة حينما قرر أمراء جماعة التكفير والهجرة أن يبتعدوا عن المجتمع المدني ويستقروا في قلعة الجبل بالروضة إحدى قرى مركز ملوي بمحافظة المنيا ومنها أطلق أمراؤهم جهلاء العقيدة وفاسدو الرأي جملة طويلة من أحكام إهدار دم المسلمين المدنيين وعشرات ضباط الشرطة وحكموا على المجتمع المصري بالكفر والضلال.

وهؤلاء المضللون كما تذكر وثائق تأريخ جماعة التكفير والهجرة المشوهة فكريا نادوا بترك صلاة الجمعة والجماعة بالمساجد التابعة لوزارة الأوقاف؛ بحجة أنها كلها ضرار وأئمتها كفار لا يمكن اتباعهم لا في القول أو العمل، إلا أربعة مساجد: المسجد الحرام والمسجد النبوي وقباء والمسجد الأقصى. بل وصل الأمر ببعضهم أنهم تجاوزوا قصد التكوين لتلك الجماعة بزعمهم أن شكري مصطفى أمير جماعتهم هو مهدي هذه الأمة المنتظر وأن الله تعالى سيحقق على يد جماعته ما يحقق على يد الصحابة الفاتحين.

وهذه الأفكار الضالة هي نتيجة كتابات سيد قطب الذي فشل في أن يصير مرشدا عاما لجماعة الإخوان المسلمين، وفشل في أن يكون رجلا

حديديا مثل عبد الرحمن السندي أمير الدم في التنظيم السري لحركة حسن البنا، نفس فشله في أن يصبح ملهما رمزيا لحركة الضباط الأحرار ١٩٥٢ التي قامت بثورة يوليو لذا فقرر أن يصبح مفجرا لفكرة التكفير وداعيا لمسألة ترويع المجتمع الإسلامي تحديدا في مصر، فقررت جماعة التكفير والهجرة عقب شكري مصطفى أن تنتهج الطريقة ذاتها لعقم التفكير والتجديد والتطوير فبات الاغتيال الجسدي سمة مميزة لهذه الجماعة، نفس الشأن لجماعة الإخوان المسلمين، وكلتاهما نجحتا في استقطاب آلاف الشباب المصري للانضمام إليهما هؤلاء اليوم الذين يقبعون خارج أسوار السجون في قاعات العلم والمساجد والمؤسسات الاجتماعية وربما ولا أدع تمام المعرفة أنهم على صلة مستدامة برموز التكفير والهجرة والإخوان المسلمين.

ولا يمكن أن نتغافل ذكر وحشية ودموية هذه التيارات دون الإطلالة السريعة على حادثة الشيخ الذهبي على يد أنصار ومؤيدي جماعة التكفير الهجرة بليدي الفكر والثقافة الدينية العميقة، فتذكر بوابة الحركات الإسلامية في تقريرها عن جماعة التكفير والهجرة واقعة اختطاف وقتل الشيخ الذهبي (رحمه الله) بأنه كان عالما كبيرا ووزيرا سابقا له وزنه في المجتمع المصري بكل طوائفه وفئاته، فضلا عن حجمه الدعوي والفكري الواسع والشاهق الذي جعله يؤلف كتابا يرد به على أفكارها مبينا المغلوط والمسكوت عنه أيضا، وفي فجر يوم الأحد الثالث من يوليو لعام ١٩٧٧, اقتربت سيارتان من باب بيت الشيخ الذهبي بحدائق حلوان، وتوقفت

السيارة الأولى أمام باب البيت مباشرة، والأخرى على بعد عدة أمتار وأطفأت أنوارها، وقفز من السيارة الأولى خمسة أفراد بملابس الشرطة وملابس مدنية، أحدهم ضابط برتبة رائد، وفي يد أحدهم مدفع رشاش، وتقدموا نحو البيت وطرقوا الباب بعنف وقاموا باختطافه ثم قتله فيما بعد.

هذه هي سُنة تلك الجماعة وغيرها من جماعات التضليل والتكفير التي بدأت بأوسع حركة اغتيالات وتكفير للمجتمع وصولا إلى أحط أنواع الإغواء الذهني لما عرف بجهاد النكاح وجهاد الحب وغير ذلك من مسائل إرضاع الكبير والزواج من الصغيرات وقضايا لا تدل إلا على هوس محموم لدى أتباعها وأنصارها الذين لا يمكن بأي طريقة عقد مصالحات معهم بل هم يحتاجون أولا إلى تصحيح وتقويم نفسي يسبق المراجعة العقائدية والفقهية.

وأخشى أن تقوم الدولة المصرية بإعادة التاريخ من جديد عن طريق إطلاق سراح المهوسين فكريا من أمثال أنصار هذه الجماعات كما تم في عهد الرئيس المصري السابق محمد حسني مبارك حينما أفرج عن العشرات منهم ممن قاموا قبل دخولهم السجون بأفجر وأفظع المذابح الوحشية بحق المدنيين من المسلمين والأقباط على السواء وقاموا بحملة واسعة لاختطاف وقتل العشرات من ضباط الشرطة، ثم قاموا بخديعة وهي المراجعة الفكرية لمعتقداتهم الدينية وما هي إلا خديعة حقا لأنهم عقب انتفاضة يناير في ٢٠١١ قاموا من جديد بنشر أفكارهم المؤجلة التي ذكرتها سالفا ونجحوا من جديد في إعادة استقطاب الشباب الجامعي وضم عشرات الأساتذة

الجامعيين بالجامعات المصرية لنصرة أفكارهم والترويج لها بين صفوف الطلاب فقراء الفكر والثقافة.

وما أخطر أن ينتشر فكر هذه الجماعة وغيرها من جماعات الإسلام السياسي بين صفوف الجامعيين، لأن التاريخ نفسه يظل شاهدا على اعتماد الجماعة الإسلامية والإخوان المسلمين والتكفير والهجرة على طلاب الجامعة، وهذا ما جاء في التقرير الصحافي الذي جاء بعنوان "المراجعات الفكرية: هل تكون أمل المعتقلين في السجون المصرية؟" في مارس ٢٠٢٠ والذي أعده كل أحمد الأزهري و أحمد مولانا وعلاء عادل و محمد إلهامي وتم ذكر كيفية استقطاب الشباب الجامعي كقوة مؤثرة في تنفيذ أوامر أمراء الدم والفتنة.

وفي التقرير يذكر المعدون له أن الجماعة الإسلامية نشأت كحركة طلابية جامعية في مطلع السبعينيات دون أن تكون لها مرجعية فكرية أو شرعية محددة . هكذا يقور التقرير . وإنما تنوعت روافدها باتجاهات متعددة كالجمعية الشرعية وجماعة أنصار السنة المحمدية وجماعة التكفير والهجرة، ثم تَسَيَّسَتْ بمرور الأحداث، وتَصَدَّرَتْ قطار معارضة السادات نهاية السبعينات، وبحلول عام ١٩٨٠ انقسمت الجماعة إلى ٣ فئات؛ حيث انضم أبرز قادتها بالقاهرة ووجه بحري إلى جماعة الإخوان المسلمين كعبد المنعم أبو الفتوح وعصام العريان وحلمي الجزار من جامعة القاهرة، وابراهيم الزعفراني من جامعة الاسكندرية، وأبو العلا ماضي من جامعة المنيا وخيرت الشاطر من جامعة المنصورة. كما انفصلت مجموعة من طلبة

جامعة الاسكندرية فَكَوَّنَتْ الدعوة السلفية. بينما احتفظت مجموعة طلبة الصعيد باسم الجماعة الإسلامية.

وهذه الطوائف الثلاث نجحت بامتهار وكفاءة واستتار أيضا في تجنيد عشرات الشباب الجامعي الذي قام بعد ذلك بتنفيذ أوامر ونواهي أمراء الجماعات من قتل وترويع وتدمير، وظهروا في تسعينيات القرن العشرين مجددا حينما قاموا بمذبحة الأقصر الشهيرة. وهذه الحادثة ينبغي التركيز على إحداثياتها المتزامنة معها حيث إنها تمت عقب مبادرة وقف العنف المسلح من جانب الجماعات الدينية بخمسة أشهر فقط وهذا يؤكد منطقية عدم التصالح مع عقول باتت تؤمن بالتخريب والتقويض كفلسفة موجهة لها.

وربما لم يقرأ كثيرون ـ كثيرون جدا ـ كتاب "نهر الذكريات المراجعات الفقهية للجماعة الإسلامية " الصادر عن مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة في سبتمبر ٢٠٠٣ والذي ألفه أمراء الجماعاة الإسلامية وجماعة التكفير والهجرة الضالة فكريا، هذا الكتاب الذي لا يمكن قراءته إلا باتباع آليات التأويل وجماليات التلقي لهانز ياوس وريكور من أجل فهم عقلية أولئك الذين ادعوا التخلي عن مبادئهم وأفكارهم التي أرهقت المجتمع المصري لسنوات طويلة بدءا من مقدمة الكتاب حتى فصله الأخير والذي كتبه كرم زهدي ورفاقه ممن جنحوا إلى مداهنة السلطات المصرية.

فكيف يمكن أن يتقبل العقل مبادرة وقف العنف المسلح من مجموعة استهدفت كل الضباط والجنود والمدنيين باختلاف ديانتهم والتعامل معهم بمنطق التسامح والتعايش الطبيعي، وهذا ما تبين وتحقق عقب ثورة يونيو

٢٠١٣ واندلاع اعتصامات جماعة الإخوان وأنصارها برابعة العدوية وكافة ممارسات العنف والوحشية ضد طوائف الشعب المصري. ففي الكتاب نطالع أن أفراد هذه الجماعات يطلعون لمستقبل مشرق لمصر الأمر الذي لم نره منهم حتى وقتنا الراهن، وأن هذه الجماعات تسعى لتحقيق مصلحة الوطن والذي يتمثل ـ حسب زعمهم ـ في الأمن والأمان. والكتاب في جملته يحتاج إلى دراسات فلسفية وتأويلية وأمنية أيضا لتحليل الطرح الفكري الذي جاء فيه والذي لم أتجاوب معه صدقه إيمانا بحجية التضليل الذي تمارسه جماعات الإسلام السياسي منذ ظهورها. وربما تتحين الفرصة لي ويتسع الوقت لإفراد دراسة مطولة عن ما جاء بالكتاب وتلك المبادرة المزيفة التي أطلقها رموز الجماعات الإسلامية في مصر

لماذا هذا السرد التاريخي الطويل لجماعات التكفير والهجرة والجهاد والسلفية الجهادية إذن؟ الأمر لا يحتاج إلى إجابة طويلة بل هي إضاءة بسيطة ينبغي التأكيد عليها أن هناك عقول لم تستقر حركتها بعد، وهناك أشخاص هم بعينهم أمراء وشيوخ الفتنة والعنف والدم والنساء والهوس الديني الذين لم ينسوا يوما واحدا في سجنهم عن لحظة خروج للانتقام ليس من فرد بل من وطن بأكمله.

إن المستقرئ لتاريخ ويوميات وأحداث جماعات الإسلام السياسي التكفيرية وغلوها في الفعل والرأي يعي تمام الوعي وقرار الإدراك بأن رجل ما أو حفنة من الرجال قليلي الخبرة والمعرفة الدينية نصبوا أنفسهم أمراء وحكماء على عقولنا بغير ولاية أو بيعة لا يمكنهم أن يتقبلوا فكرة المواطنة

السلمية وأن يظلوا مواطنين طبيعيين بغير إمارة أو سلطة تتيح لهم فرصة الأمر والنهي.. والقتل أيضا.

وصاية الأمير.. أنا أقرأ بالنيابة عنك!

تبدو المسألة عميقة ضاربة بجذورها في أواصل تاريخ مصر المعاصر حينما نستقرئ فكر الجماعات الدينية الإسلامية التي انخرطت في الشأن السياسي لاسيما وأن مساهماتها لم تصب في مصلحة الوطن والمواطن بنفس القدر الذي أحدثه هذا الفكر وتلك الطروحات التي بدت في معظم الوقت أكثر قمعية ووحشية بل وأعنفها شراسة إن جاز التوصيف.

ولا يظن القاصي والأكثر دنوا أن قيام هذه الجماعات بسبب أن المجتمعات العربية الإسلامية الأصل والنشأة والتكوين هي جاهلية وغارقة في جحودها صوب الربوبية كما زعم سيد قطب ومن تبعه من أنصار جماعات التكفير والهجرة الذين لجأوا إلى الدين الظاهري فحسب كستار لممارسات لا تليق بسماحة الإسلام ووسطيته واستثنائيته السماوية بل لتحقيق مطامح ومآرب تقترب إلى أرصدة الجاهلية نفسها. بل كانت النشأة الطبيعية هي سد الفراغ ومعالجة جهل العوام واستغلال فترات الضعف التعليمي وانتشار البطالة وأيضا الوقوف في وجه بعض الأنظمة الحاكمة لاسيما وقت قيامها على وجه التحديد فترة تكوين جماعة حسن البنا وتنظيمه.

وعمق التجربة السياسية للجماعات الإسلامية نسبة إلى الملامح العامة لتكوينها لا لانتمائها الديني، يعود إلى منطق التصارع الذهني لدى أمرائها تجاه مدنية الدولة ودينية السلطة، الأمر الذي جعلها بغير علل أو

فلسفة تشير علانية بعلمانية أية تصريحات أو كتابات تنطق بالدولة المدنية التي هي في الأساس أيضا من منجزات العصر الحديث التي تحتاج إلى تصويب ومراجعات طويلة.

وفكرة المدنية التي كانت وستظل الهاجس المقلق لدى جماعات الإسلام السياسي هي مجرد أكذوبة روجت لها تلك الجماعات لدى مريديها وأنصارها بحجة أن الديموقراطية تزحف بالأوطان نحو الهاوية وأنها . أي الديموقراطية . وجه كاشف للضلال والكفر وعصيان الإله، رغم أنها في أوقات أخرى وفي أزمنة التمييع السياسي لظهور تيارات الإسلام السياسي استخدمت كافة رساميل الديموقراطية وخصائصها للترويج لفكرها وخداع الأنظمة الأمنية بسلمية هذه الجماعات، وسرعان ما تعود مجددا إلى طروحاتها الأصولية السابقة التي تقصي الآخر وتستقطب من يوافقها ويرافقها في التوجه والهدف.

وعودة تيارات الإسلام السياسي للأصول وتوصيفها بالأصولية ليست عيبا في حقيقة الأمر إذا كانت المرجعية لتلك الأصولية القرآن الكريم وفهمه الصحيح والسنة النبوية الصحيحة الخالية والخاوية من التحريف والتصحيف والتبديل والوضع والتجريح وهي مفردات أزعم أن جملة من أمراء تلك الجماعات لا يمكنه التفريق بينها بل أزعم حد اليقين بأن مجمل زعماء حركات التكفير والهجرة والجماعة السلفية الجهادية وصولا إلى تنظيم داعش الدموي بمنأى عن مفاهيم الناسخ والمنسوخ والجرح والتعديل وأكثر ابتعادا عن مزاحمة التأويل.

لكن أصولية الجماعات المنسوبة للإسلام السياسي ليست كما أرى تهرع نحو مصادر التشريع بضوابط استخدامها، بل هي معتقدها الزمني تقر بحجب كافة محاولات التجديد والاجتهاد، بل هي نفسها تعاني من فقر الاجتهاد اللهم فقط فيما يتعلق بأمور النساء وتحكيم الرغبات الجنسية كما رأينا وطالعنا فتاوى عجيبة كإرضاع الكبير والزواج من الصغيرات انتهاء بفتاوى فساد الأدمغة من مثل نكاح الجهاد وجهاد الحب.

وفقر التجديد لدى أمراء وزعماء حركات الإسلام السياسي متعددة الأسماء والتوجهات من الإخوان المسلمين والجهاد والسرورية والتكفير والهجرة والسلفية الجهادية والقاعدة وغيرها من هو الذي دفع بغير إرادة إلى الاحتكام لطروحات تنظيرية لا يمكن الفكاك منها مثل الأدوار التي يقومون بها من توعية الجماهير مستغلين بساطتهم المعرفية بقضايا الدين وأحكام الفقه والحركات الدينية في الإسلام واختلاف المذاهب أيضا، كذلك أدوار من مثل رعاية الأيتام والخطابة التقليدية القائمة على الإقناع الصوتي والتفاعل غير اللفظي والتأكيد على مخارج الحروف دون المضمون المعرفي، وأخيرا الدور التقليدي تاريخيا لدى هذه الجماعات وهو نصح النساء، لدرجة أنني وغيري ممن يرون ضرورة في تنوير العقول، نرى أن رخصة قيادات جماعات الجهاد الشرعية هي تناول قضايا النساء بصورة مبالغة أكثر من تداولها بين النساء أنفسهن الأمر الذي يحتاج من رواد التخصص السيكولوجي دراسة هذه الظاهرة الملتبسة.

هذا الزعم بالأصولية التي يتزعمها شيوخ وأمراء التيارات الجهادية

جعلهم أكثر اجترارا لقضية الخلافة التي طالما نجدها في كافة كتابات الراديكاليين بنفس القدر الذي نرصده عند التنويريين والمجددين أيضا، وفكرة الخلافة والكونية والصرامة المطلقة في تحقيقها أبعدت جماعات الإسلام السياسي عن مشكلات المجتمعات العربية الإسلامية الحقيقية، وأفقدتهم التزامنية مع أزمات الوطن الاقتصادية، وباتت الخلافة رهن ثلاثة محاور فقط من رؤاهم الضيقة؛ الأولى هو الوصول إلى سدة الحكم كما حدث في مصر وتونس على سبيل المثال وهو الحلم الذي كرس له ودشنه حسن البنا وتنظيمه عبر مراحل محددة هي التكوين والتأهيل والكمون ثم التمكين، حتى كان السقوط في ثورة مصر الشعبية في الثلاثين من يونيو ٢٠١٣، المحور الثاني هو فساد السلطة السياسية الحاكمة حتى وإن شُهد لها بالصلاح إلا أن أية سلطة حاكمة ليست تنتمي إلى فكرها ومنهجها والولاء المطلق لرموزها، أما المحور الأخير فهو اجتماعي يعود بنا إلى سياق سابق ألا وهو التفكير في المرأة، فالمجتمع سافر بأفعالها، مبتذل بخروجها إلى العمل، في طريقه إلى انحطاطه عبر ارتيادها مناطق الرجال الاجتماعية كالرياضة والجامعة والبرلمان، بلا شك الهوس المرتبط بالجسد يظل الملمح الأكثر بروزا واتساعا وارتيادا أيضا في فكر أمراء الجهاد المزعوم.

ويتفق كل مسلمي كوكب الأرض على شرف ومكانة وقدر الخلفاء الراشدين وزمنهم الطيب ذِكرًا وسيرة ورواية، ومن الصعوبة أن تجد من يخالف الاعتقاد بتلك المكانة التاريخية، وهي الساحة التي طالما يلعب على ثراها الجهاديون المعاصرون، لكن رغم هذا السمت العام الذي يتشاركه

التنويريون والراديكاليون معا، بل والعلمانيون أيضا أراهم على نفس درجة تمجيد زمن الخلافة الراشدة وهو بحق يستحق التمجيد، إلا أن بقاء أمراء التيارات الجهادية عند تخوم زمن الخلافة وحدودها فقط يزيد من قمع كل محاولات التجديد بل والإصلاح أيضا، لأن المسلم وحسب استقطابه ذهنيا ووجدانيا عبر خطب الجهاديين مهما ارتقى في تدينه وصلاحه الفردي والجمعي سيجد نفسه بمنأى عن صلاح زمن الخلافة الراشدة حتى يصل به الأمر إلى مقاطعة العصر الذي يعيشه.

الأمر الذي وجدناه في الوقفة الاحتجاجية المصرية في شتاء يناير ٢٠١١ حينما ركبت جماعة الإخوان المسلمين وبعض جماعات الإسلام السياسي الأخرى في مصر موجة الغضب والانتفاضة الشعبية فوجدناها تنادي بشعارات لا علاقة لها بحضور المشهد الراهن مثل "خيبر خيبر يا يهود"، و "كلنا إلى الأقصى زاحفون" وهي شعارات قد نجدها طبيعية على أرض فلسطين المحتلة، مما يؤكد انفصال هذه الجماعات بأعضائها عن الوقت والحدث.

ورغم هذا الانفصال، نجد أن الجماعات الجهادية نجحت فيما أخفقت فيه النظم العربية الحاكمة بمؤسساتها الرسمية؛ فتيارات الجهاد المسلح استطاعت استقطاب ملايين الشباب العربي والغربي لأفكارها عبر الإنترنت، ونجحت بامتهار وكفاءة في انتزاع عقول الشباب العربي من حضن المؤسسات التعليمية الرسمية، ففي الوقت الذي توقفت فيه الدراسة بمعظم الدول العربية ولجأت إلى اعتماد نظام التعليم عن بعد، كان

الاستخدام قاصرا ومحدودا ولم يتمتع بالقدر الكافي من الريادة والانتشار وجذب الطلاب العرب رغم تعدد المنصات التعليمية.

في الوقت نفسه الذي هرعت مسرعة تلك الجماعات التكفيرية ومنها تنظيم داعش إلى تدشين عشرات المنصات الرقمية ومئات المواقع والصفحات الإلكترونية عبر شبكة فيسبوك لاستقطاب الشباب الذي بدا أكثر سطحية وأقل عمقا في الفكر والتحليل والتأويل لما يُعرض عليه، فاستحال لقمة سائغة وفريسة سهلة القنص لدى جماعات الجهاد التكفيرية.

وكل الخوف أن يكون التعلم عن بعد الذي تتباهى به الدول العربية اليوم هو السلاح الأكثر شراسة في أيدي جماعات التكفير الجهادية لاسيما وأن الطلاب أصبحوا بعيدين عن خبرة الأساتذة المباشرة والإقناع والتواصل المباشر معهم.

وحينما نرصد نوافذ جماعات الإسلام السياسي المعاصرة، لا يمكننا التغافل عن استخدمها التاريخي بغير كلل لفكرة ممنهجة مفادها وضع الدين (ظاهريا) في خدمة الفكر السياسي الخاص بأيديولوجياتها، وتاريخ العرب المعاصر تحديدا منذ بدايات ظهور تنظيم البنا يؤكد أن الغرض الأساسي لهذه التنظيمات هو الوصول إلى السلطة رغم آلاف التصريحات والأيمان وأغلظ القسم بأنها ـ الجماعات ـ لا تسعى إلى الحكم أو السلطة لكن حقيقة المشهد تبدو دائما مغايرة للمنطوق اللفظي لديها.

لذلك، ما ينبغي التنويه عليه والتشدد كما يفعل الراديكاليون أنفسهم، أن فكرة المراجعات الدينية لأمراء هذه الجماعات وشيوخ تلك

الفرق وقيادات التنظيمات الجهادية بعد أن يتم القبض عليهم يجب أن تؤخذ بعين الحذر والترقب، ففي زعمي أن منطق الاستتابة لدى هؤلاء غير حقيقي أو صادق تماما، وأن سياسات التسامح ومظاهر الاعتدال المؤقت لديهم سرعان ما تنقلب إلى وحشية وقمعية واستلاب حين التمكن تماما كما شاهدنا في أحداث رابعة العدوية وكل محاولات مقاومة السلطة العسكرية في مصر، ومن الغريب أن جماعات تدّعِي السماحة وهي في جوهر الأمر وواقعه تستخدم كل الحلول المسلحة عند المواجهة.

وأيديولوجية الجماعات الجهادية التي ينبغي أن تكون معروفة ومحفوظة لدى أجهزة الأمن العربية تبدأ بالتدرج في العرض والصبر في الترويج والشيوع داخل التجمعات البشرية، ثم اللجوء إلى حلول جذرية تمثلت ولا تزال في الاغتيال السريع للمخالف، ثم التوسع مرة أخرى في مقابل التشدد في تطبيق نظريات تلك الجماعات، هذا ما جعلني وقت الكتابة استرجع ثمة إشارات تاريخية منها ما قام به صلاح هاشم من تكوين جماعة دينية بجامعة أسيوط ضمت بعض الرموز الجهادية مثل كرم زهدي وعاصم عبد الماجد وأسامة حافظ وغيرهم من رموز التكفير والغلو والراديكالية الذين لا أثق بعد في استتابتهم الفقهية غير المقنعة، هذه الجماعة التي أسسها طلاح عاشم جاءت كما زعمت لمقاومة منكرات الحرم الجامعي وأبرزها وأهمها وأخطرها من وجهة تفكير هؤلاء المهووسين جسد المرأة وزيها وفساتينها وأحذيتها وكل ما يتعلق بالأنثى، فبدلا من أن يقوم هو وفريقه الجهادي بتثوير البحث العلمي والانطلاق إلى مجالات مجهولة في العلم كان المنكر في

نظرهم هذا الجسد الأنثوي الذي يروح ويغدو، في نفس الوقت الذي كانت المنيا على موعد مشهود مع ترويع المدنيين لاسيما الأقباط في ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي.

كل هذا يجعل العقل يتذكر بدايات السلطة الدينية في أوروبا حينما حاولت الكنيسة الكاثوليكية الجمع بين السلطة الدينية والسلطة السياسية وفرض الزمن التاريخي على الواقع المشهود مما أدى إلى ممارسات أكثر وحشية بشأن كل معارض كما تم على أيدي البابا جريجوري التاسع في عام ١٢٣٣ من خلال محاكم التفتيش وأصبحت هذه المحاكم بقوة القانون على يد البابا إنوسنت الرابع عام ١٢٥٢ وما قام به من وحشية وقمع تمثلت في حرق المخالف.

إن الإسلام دين يدعو إلى الرقي والارتقاء بالعقل البشري وبالإنسانية في كافة صورها، دين سماوي يحث على إعلاء كل قيم السمو والرفعة ويدفع الإنسان من خلال الاتصال بربه عبر العبادات والطاعات أن يستحق ولاية الأرض وخلافتها هذا ما يغفل عنه أنصار وأمراء جماعات الجهاد والتكفير.

كَيفَ أسَّسَ الإمامُ الخُومِينِي لامبراطورية التَشَدُّدِ؟

فجأة، وبدون مقدمات وجدت ثمة مواقع إلكترونية تجتر ذكرياتها التاريخية باستدعاء ثورة إيران التي تزعمها من الخارج الإمام الخوميني والتي لم يشارك فيها من الداخل بل جاء مفجرا لها عبر أشرطة التسجيل التي انتشرت بصورة مجنونة وقت حكم شاه إيراه الذي بدا مغرورقا في هيامه

بأمريكا، ومهموما بأحلام زوجه التي بدت بحق امبراطورة تشبه أسلافها من ملكات فارس.

وباستقراء كافة المشاهدات والممارسات القمعية التي يمارسها أصحاب التيارات الراديكالية المتطرفة، يمكننا الاعتراف بأن ثمة مواجهات متلاحقة ستطرأ من جديد على المشهد العربي الذي بات أكثر احتداما واضطرابا على المستويين السياسي والاجتماعي لظروف تتعلق ببعض البلدان العربية والتي كانت مسرحا مناسبا لاستغلاله من جانب الغرب الأوروبي والإدارات الأمريكية لتحقيق مطامح شخصية من شأنها أن تصب في المصلحة الصهيونية دائما. وبغية استشراف تلك المواجهات التي لن تخرج عن الممارسات المسلحة وترويع المدنيين كما في اليمن الذي كان سعيدا يوما ما، أو في بقاع الجمهورية العراقية التي احتضنت الثقافة والحضارة العربية لقرون طويلة وبعيدة بغير خلل أو تقويض، كان من المناسب القيام بجولة إلكترونية للتفتيش عن ملامح العقلية الراديكالية المعاصرة التي خرجت من عباءات متعددة ليست منها فحسب عباءة تنظيم الإخوان المسلمين وأفكار حسن البنا الممنهجة حسب مراحل، أو من خلال طروحات سيد قطب الأكثر تطرفا وقمعية من شأنها تقليص سطوة الآخر ونفوذه في الحق الإنساني، أو حتى أفكار أبي الأعلى المودودي التي كانت ولا تزال المصدر الرئيس لأدبيات التطرف العقائدي.

لكن هذه المرة هي إعادة إنتاج أفكار الثورة الإيرانية الإسلامية لصاحبها الإمام الخوميني، وهي ثورة في أساسها فكرية تضمنت في ثناياها

كافة أنماط الاستلاب والإقصاء والتهميش وتكميم الأفواه وقتل كل صور الحريات لاسيما المتعلقة بالمرأة وحقوقها التي منحها الله لها.

الغريب في الجولة الإلكترونية أن تلك الجماعات الراديكالية التي تنوعت أسماؤها وتعددت من جماعات الجهاد الإسلامي والسلفية الجهادية والجماعة الإسلامية، إلى التكفير والهجرة (وإن كانت هذه الجماعة على وجه التحديد هي خوارج العصر الحديث بأفكارها الضالة المضللة وبرموزها المضللين فاتري الفكر والرؤية والتوجه وهي بالفعل جماعة سعت في الأرض فسادا وقتلا وتدميرا في مصر في فترة حكم الزعيم الخالد محمد أنور الساعات حتى نهاية التسعينيات فترة حكم الرئيس المصري محمد حسني مبارك وهي حاليا فترة حكم الرئيس السيسي تعمل تحت أقنعة وغطاءات أخرى لا تحمل اسمها بل تكتفي بحمل سمتها الأيديولوجي) إلى أنصار بيت المقدس إلى جماعة ولاية سيناء مرورا بجماعات وطوائف متناحرة داخليا في الفكر والتوجه والمقصد وصولا إلى جماعة بوكو حرام انتهاءاً بتنظيم الدولة الإسلامية المعروف إعلاميا وأمنيا أيضا بـ (داعش) بجانب استخدامها للعنف والترهيب والترويع واستغلال ضعف بعض البيئات العربية اجتماعيا واقتصاديا لفرض السيطرة، أنها بدأت مؤخرا من جديد في استقطاب المئات من المريدين عن طريق دغدغة المشاعر والتلاعب بالعقول مجددا.

وهذه التيارات اعتادت منذ فترة مغايرة الفكر السليم ومساومة العقل السديد بطروحات تبدو غير مقبولة أو خاضعة لسيطرة العقل وإعماله؛ فمن إرضاع الكبير إلى الزواج من الصغيرات اللاتي لم يتعدين التاسعة وفقا واحتكاما

لنصوص تراثية مهجورة لا سند لها ولا ضابط أو حاكم شرعي سوى الهوس الجنسي المريض، إلى جهاد النكاح، وصولا إلى جهاد الحب حتى نكتشف أو نستقر صوب حقيقة دامغة في فكر هؤلاء الموتورين؛ وهي الولوع بالنساء وكأن زمرة وحفنة من أمراء الفتنة ولعوا عشقا حد الهوس بالنساء وباتت العورة التي كانوا يدشنون خطبا طويلة عبر اسطواناتهم المسموعة كما الحال في ثورة الخوميني هي الهدف المطلق لهؤلاء، وأن المرأة هي المركزية الكونية لفقههم. وهم من زاوية علم النفس يحتاجون إلى علاج طويل المدى واختبارات نفسية كثيرة للكشف عن مظاهم العقلية تجاه المرأة، ولهذا فهم في مواجهتهم المعاصرة اليوم مع الحكومات والأنظمة وطوائف المجتمع لن يجدوا سندا لهم سوى المرأة والفتاة كفريسة سهلة القنص من وجهة نظرهم العقيمة البليدة أيضا.

ولم يفطنوا ولو للحظة أن المرأة التي جعلوها في ذهن الشاب المهووس . على سبيل المثال . هي أم المؤمنين السيدة حفصة، ومن أشهر الحوادث التاريخية في عصرها هو حادثة جمع القرآن الكريم الذي تم في عهد الصديق أبي بكر (رضي الله عنه) حينما عرض الأمر على عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وتشاورا في الأمر، حتى انتهى بهما المطاف إلى جمعه فجمعه الصحابي الجليل زيد بن ثابت. وبعد أن تم جمعه أخذت النسخة ووضعت عند أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، فلما توفاه الله تعالى أخذ النسخة عمر بن الخطاب، ولما استشهد الفاروق وهو يصلي على يد أبي لؤلؤة المجوسي، أوصى عمر بن الخطاب أن تكون النسخة محفوظة لدى السيدة الطاهرة حفصة.

وبعد أن تولى الخليفة عثمان بن عفان الخلافة، توالت الفتوحات الإسلامية في عهده، ودخل الكثير من غير العرب الإسلام، فأثروا في اللغة العربية ومقاماتها كما تأثروا بها أيضاً، وكانت نتيجة هذا التأثر اختلاف القراءة القرآنية لاختلاف الألسنة واللهجات، فعمد عثمان بن عفان أن تحرق كافة النسخ الموجودة للقرآن، ذلك أن يوجد به أخطاء تحرف المبنى والمعنى، وخوفاً من اللحن في اللفظ القرآني الشريف الذي تعهد الله بحفظه، وسعى إلى الاعتماد على نسخة واحدة أصيلة، وكانت هذه النسخة الأصيلة والسليمة هي الموجودة عند السيدة الفاضلة حفصة بنت عمر (رضي الله عنهما)، فأخذت النسخة من عندها وتم نسخ القرآن أكثر من نسخة ووزعت على كافة الأمصار، وأصبحت نسخة مصحف حفصة هي المرجع الرئيس لنسخ القرآن الكريم. ولابد للتاريخ الإنساني أن يحفظ دور السيدة حفصة عليه، فتخيل لو ضاعت هذه النسخة من بيت السيدة حفصة، ولكن كيف تضيع وهي امرأة أمينة حافظة، لكن في زماننا هذا يعتمد أقطاب وأمراء النساء المزعومين بأمراء الجهاد أن يبرزوا المرأة كمصدر فتنة ونموذج للشهوة متغافلين رصد صور رائعة للمرأة عبر التاريخ.

وقناعتي الشخصية أن المواجهة مع فكر هؤلاء حينما يكون إلكترونيا تتم بنفس الدرجة والمهارة ومخاطبة المرأة العربية بصورة تجعلها أكثر حكمة ووعيا وهي تنصت لفكر مرتزقة الدين وخوارج هذا العصر الذين يسعون في الأوطان خرابا عن طريق تقويض استقرار المجتمعات العربية ونزع فتيل الأزمات بصورة مستدامة، وإبراز الصورة الرائعة التي رسمها القرآن الكريم

للمرأة وأنه ـ القرآن ـ أعلى من شأن المرأة وهي ليست مجرد وسيط للمتعة وإشباع للذة فحسب، بل هي قوام مجتمع قوي رصين.

ورجعة لحركات التيارات الراديكالية المعاصرة التي بدأت في حرب جديدة مع المجتمعات العربية المتناحرة، فإنها لم تستغل كما كانت الظروف التاريخية لانتشار الأفكار المتطرفة كما كان العهد منذ ثورة إيران وأتباع الخوميني من تخبط سياسي داخلي ونزوح فكري للشباب المسلم تجاه الغرب والبعد عن ملامح الدين السديد، والاضطراب التاريخي بين الفكر السلفي وأفكار التنويريين، أو حتى هجرة الشباب إلى الدين في فترات الأزمات والكوارث السياسية المتعلقة بالحروب والنكسات، إنما هذه التيارات أصبحت تلعب على هرم احتياجات المواطن الأولية وليس الفكرية هذه المرة، مستغلة اهتمام الشباب بقضايا الجنس تارة، وهموم اختيار الزوجة الصالحة، حتى يتم تجنيد هؤلاء لتدمير المجتمعات بضمان لقاء الحور العين في الجنة وهذا يتم بعد سيناريوهات طويلة للإعداد والتأهيل.

ولا يمكن إغفال اعتماد التيارات الدينية الراديكالية المعاصرة على نفس مفاهيم أهل التشدد من أمثال المودودي وسيد قطب والخوميني في العصر الحديث مثل الحاكمية باعتبار أن أصحاب هذه الجماعات هم وكلاء الله في الأرض وأنهم ـ وحدهم ـ مفوضون بتقنين وتفسير وتأويل شرع الله دون غيرهم، وللأسف كثير من الأنظمة التعليمية في بلداننا العربية والإسلامية ساهمت في رواج خطط الخوميني وأمثاله وأتباعه من حيث فقر التعليم الديني بالمؤسسات التعليمية، وأن أغلبية المناهج التعليمية لم تكترث

بإعمال العقل أو تثويره وتجديده، مما يسر مهمة الجماعات المتطرفة في شيوع أفكارها بصورة شرسة متوحشة.

هذا يشدنا إلى اجترار ما أكده السابقون لعصرنا الراهن من أن الحقد الفارسي لا يمكن إغفاله، وأن فرس اليوم لا يختلفون عن فرس الماضي في اعتقادهم بأحقية خلافة العرب بل والعالم أيضا، وأن توغل الفارسيين في الحضارة الإسلامية والعربية لم يكن صافيا أو خالصا في النية والتوجه، إنما نعرات الجنس والأصل هي أساس التوغل وأن هدف إقصاء العرب يظل محورا مهما للفكر الخوميني الذي لم يخرج عن عباءة الحقد الفارسي القديم على العرب.

وأنا أتفق مع الرأي القائل بأنه من غير الطبيعي أو المنطقي أن تجاهر التيارات الراديكالية الأكثر تطرفا وغلوا باتخاذ آراء الخوميني منهجا واتباع شذور سيد قطب وجهلة جماعة التكفير والهجرة دستورا في الوقت الذي يبتعدون فيه عن سماحة نهج ومنهج ومنهاج الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) ولا يمكن إنكار أن كافة الحركات الدينية السياسية التي تولدت من رحم ثورة إيران السريعة هي مجرد تجارة بالدين وتوظيف ساذج لظاهر النص دون جوهره ومغزاه.

وأسوأ استجابة لقارئ هذه السطور أن يظنها تزحف نحو العلمانية وتهرول وراء فصل الدين عن الحياة، وهذا افتراء محض، ودليل على خراب العقل، لأن المقصد هو توجيه الشباب العربي إلى صحيح الدين، إن الإسلام الحنيف يسعى إلى تربية العقول من حيث إخراجها من حيز البساطة الصرفة

والخلو من المعلومات وإبعادها عن التصورات والاعتقادات الرديئة، إلى أن تتحلى بتصورات ومعلومات صحيحة تحدث لها ملكة التمييز، أي أن يكون لنور العقل نفوذ تام يفصل بين طيبات الأشياء وخبائثها.

وربما لم يتقبل عقلي فكرة أن يتحكم رجل لا يعرف أصول دينه أو هو مجرد رجل يسعى للزعامة السياسية مستغلا نصوصا تراثية مجهولة أو ضعيفة السند والتخريج في مجريات حياتي، وأن يفرض وصايته الروحية على تفاصيل شديدة الخصوصية للفرد دون أن يسمح لي بإعمال العقل، لأنه بهذا التوجه جاهل وأحمق، فقد سبق الإسلام موجات هادمة للتفكير وحجب النظر والتدبر والتعقل، فجاء مدحضاً هذه الأفكار، داعيا الناس كافة إلى ضرورة النظر العقلي والاعتماد على الحجة والبرهان. يقول الله تعالى: (وفي الأرض آيات للموقنين * وفي أنفسكم أفلا تعقلون).

بل ويدعو القرآن الكريم الإنسان إلى ضرورة النظر في مخلوقات الله وظواهره وإعمال العقل، يقول تعالى: (فلينظر الإنسان إلى طعامه* أنا صببنا الماء صباً* ثم شققنا الأرض شقاً* فأنبتنا فيها حباً * وعنباً وقضباً* وزيتوناً ونخلا* وحدائق غلبا* وفاكهة وأبا، متاعاً لكم ولأنعامكم). والقرآن الكريم يزدحم بالشواهد والآيات التي تحث الإنسان على ضرورة التفكير وإعمال العقل والتدبر والنظر والاستدلال، كقوله تعالى: (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت* وإلى السماء كيف رفعت * وإلى الجبال كيف نصبت* وإلى الأرض كيف سطحت).

ولكن رغم عنكبوتية التيارات الراديكالية المعاصرة وانتشارها في

المجتمعات العربية وقت غفلة بعض الأنظمة أو انشغالها بأبعاد وتطورات طارئة، إلا أنها تنتهي إلى زوايا ظلامية من باب استشراف الفكر، فهي تتسم بضيق النظرة والأفق نحو الآخر تماما كما حدث مع تنظيم حسن البنا في مصر وتونس وانهيار المؤسسة التي قامت منذ عام ١٩٢٨، وأن معظم رجالات هذه التيارات لا تستطيع مواجهة النقد أو الدخول في سجال فكري مباشر إنما اعتادت أن تجلس مع الأتباع والمريدين رجالا ونساء في كهوف ومناطق بعيدة ضيقة بفكر ضيق أيضا، لكن حينما يتم وضعهم أمام مناظرة دينية مستندة على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ونصوص السلف الصالح المتسق مع زماننا فإنهم بالفعل يبدون أكثر اضطرابا تماما كما نرى إيران من الداخل؛ تشددا دينيا، وصراعا سياسيا، ونزاعات خارجية، وسفور وامتهان للمرأة بل أسواق للنخاسة وممارسات جنسية غير شرعية وحالات طويلة من انتحار الفتيات.

الفصل السادس

ركائز التنشئة الإسلامية

التربية الدينية الإسلامية:

بالرجوع إلى معاجم اللغة العربية نجد أن كلمة "تربية" تعود إلى ثلاثة أصول لغوية هي: ربا، وربى، ورب.. يقول ابن منظور في لسان العرب: "ربا الشيء يربو ربواً ورباء" زاد ونما . وأربيته: نميته، وفي القرآن الكريم يقول تعالى ﴿ويربي الصدقات﴾ (البقرة، ٢٧٦) ومنه أخذ الربا الحرام، قال تعالى: ﴿وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأؤلئك هم المضعفون﴾ (الروم، ٣٩). ويقول ابن الأعرابي: ربيت في حجره وربوت، وربيت أربى ربا وربواً. وذكر الأصمعي: ربوت في بني فلان أربو: نشأت فيهم، وربيت فلاناً أربيه تربية، وتربيته وربيته بمعنى واحد.ويقول ابن منظور: رب ولده والصبي يربه ربا، وربيه تربيباً وتربة.

قال حسان بن ثابت:

ولأنـــت أحســـن، إذا بـــرزت لنـا يـوم الخـروج بسـاحة القصـر
مـــن درة بيضـــاء صـــافية ممـــا تربـــت حـــائر البحـــر

والعرب تقول: لأن يربني فلان أحب إلي من أن يربني فلان، وروي هذا عن صفوان بن أمية، أنه قال يوم حنين عند الجولة التي كانت من المسلمين، فقال أبو سفيان: غلبت والله هوزان. فأجابه صفوان: "لأن

يربني رجل من قريش، أحب إلي من أن يربني رجل من هوزان". وقال الإمام البيضاوي في تفسيره "أنوار التنزيل وأسرار التأويل": "الرب: في الأصل بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً". ويقول الراغب الأصفهاني: "الرب: في الأصل التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً وحالاً إلى حد التمام".

والتربية في اصطلاح العلماء التربويين هي: فن تحقيق اللقاء الناجح بين طفل غير ناجح، وغير عالم، وغير قادر، وبين مجتمع فيه من التعقيد والحضارة، ورقي الثقافة، وتعدد المناشط، وتشابك العلاقات، الشيء الكثير الذي يطالب المتعلم به ليتكيف مع المجتمع، ويسهم في سيره وسلامته ورقيه، ورفع مستوى المعيشة فيه، وذلك نتيجة لما تزوده التربية من خبرات الحياة، وما يلزم لممارستها من صحة وقدرة، وعلم ومهارة، وإرادة وتذوق..

وهي تعهد الفرد والتدرج معه من أجل تنشئته تنشئة صالحة. والتربية عملية تهدف إلى استثمار الفرد، واستخدام قدراته ومواهبه من أجل تكوينه وبنائه، ومن أجل مجتمعه الذي ينتمي إليه، فهي الحصيلة الكلية لاتحاد الخبرات الإنسانية، التي تكون ما يسمى بالشخصية، وهي عملية نامية مستمرة، تسير داخل الإنسان باستمرار..

ويمكن النظر إلى مفهوم التربية الدينية الإسلامية في ضوء اتجاهين؛ الأول عام وشامل، والثاني خاص ونوعي، وبين هذين الاتجاهين تتعد التعريفات وتتنوع، وقصداً إلى الإيجاز سنكتفي بعرض تعريفين لكل اتجاه،

ثم التعليق واستخلاص تعريف محدد للتربية الدينة الإسلامية..

فمن التعريفات الخاصة بالاتجاه الأول ما ينظر إلى التربية الإسلامية على أنها عملية مقصودة تستضيء بنور الشريعة، وتهدف إلى تنشئة جوانب الشخصية الإنسانية جميعها، لتحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى، ويقوم فيها أفراد ذوو كفاءة عالية بتوجيه تعلم أفراد آخرين وفق طرائق ملائمة. وهذا التعريف فيه إشارة إلى أن التربية الإسلامية عملية موجهة تستمد هذا التوجيه من مصادر الإسلام الأساسية وهي القرآن الكريم والسنة النبوية، وتقوم على مبادئ وقيم الإسلام وتعاليمه. وفي إطار هذا التعريف تكون مهمة التربية الإسلامية إعداد وتنشئة جوانب شخصية المسلم بصورة متكاملة. وهذه العملية يقوم بها أفراد مؤهلون لذلك، هدفهم تزويد الأفراد الآخرين بالمعارف والعلوم الدينية، وتنمية الاتجاهات الدينية لديهم، وتعديل سلوكياتهم في الإطار الذي رسمه الدين وحددته تعاليمه.

والتربية الإسلامية بمعناها العام لون خاص من التربية يمثل أسلوب صياغة الإنسان المتوازن المتكامل، وطريقة بناء ذاته، وتكوين شخصيته عقلياً ووجدانياً.

ويشير هذا التعريف إلى أن التربية الإسلامية تختلف عن بقية أنواع التربيات من حيث الهدف والطريقة، إذ أنها تهدف إلى تكوين الإنسان المؤمن، وهي في ذلك تحقق نمواً مطرداً في جوانب شخصيته.

وفي ضوء هذا الاتجاه العام والشامل لمفهوم التربية الإسلامية يمكن النظر إليها باعتبارها التطبيق التربوي للنظام الإسلامي، وأن هدفها تربية

المواطن المؤمن والمجتمع المسلم المؤمن، الذي تتحقق فيه عبودية الله وحده، وللتربية الإسلامية بهذا التحديد دور لا يقتصر على المدرسة وحدها، بل يمتد ليشمل جميع مؤسسات المجتمع مثل المساجد، والنوادي الاجتماعية والثقافية، ووسائل الإعلام المختلفة من صحافة، وإذاعة، وتلفاز، بجانب الأسرة باعتبارها أولى مؤسسات المجتمع التي تهدف إلى تزويد أفرادها بتعاليم وقيم الإسلام، وتنشئتهم تنشئة دينية سليمة..

والاتجاه الثاني للتربية الإسلامية ينظر إليها باعتبار أنها مادة دراسية حيث إنها ما يقدم للطلاب من كتب التربية الدينية الإسلامية، من مادة علمية مقررة، تتمثل في القرآن الكريم، والتوحيد، والعقيدة، والأحاديث النبوية، والأحكام الفقهية، والسيرة النبوية، والبحوث والتهذيب، وسير الصحابة والصالحين، وذلك في كافة المراحل التعليمية؛ بقصد توعيتهم وتهذيبهم.

ويشير هذا التعريف للتربية الدينية الإسلامية إلى أنها ما يقدم للطلاب في المراحل التعليمية المختلفة من فروع للتربية الإسلامية من علوم دينية إسلامية، بهدف تزويدهم بالمعارف والمبادئ الإسلامية، وتهذيب وتعديل سلوكهم واتجاهاتهم. وفي هذا إشارة إلى أن التربية الدينية الإسلامية علم يغرس ويثبت أصول العقيدة والشريعة الإسلامية في وجدان وعقول ناشئة المسلمين تدرجاً مع سني عمرهم.

وإذا كان مفهوم التربية الدينية الإسلامية بمعناها كمادة دراسية تقدم فروع القرآن والحديث والسيرة وغيرها،فإن هدفها يتعدى إكساب

المعلومات، حيث تسعى من خلال تقديم فروع التربية الدينية للطلاب إلى تكوين الطلاب فكرياً على أسس إسلامية صحيحة، وإمدادهم بقيم موجهة للسلوك. والتربية الدينية الإسلامية بذلك أداة اجتماعية لتربية الأفراد، وصنعهم على أساس من القيم الفاضلة والمثل العليا. والتربية الدينية الإسلامية بهذا المعنى الخاص تكون أكثر تحديداً، وتكون المدرسة هي المسئولة عن تعليمها، وفي إطار هذا المفهوم تعد الكتب، وتطور البرامج التعليمية، وتجرى الدراسات العلمية التربوية..

مصادر التربية الدينية الإسلامية:

التربية الإسلامية ضرورة حتمية لتحقيق الإسلام كما أراده الله أن يتحقق، وهي بذلك المعنى تهيئ النفس الإنسانية لتحمل هذه الأمانة،وهذا يعني بالضرورة أن تكون مصادر الإسلام هي نفسها مصادر التربية الإسلامية، وأهمها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومنهج السلف الصالح.

القرآن الكريم:

نزل القرآن الكريم منجماً على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في ثلاث وعشرين سنة، وكان ينزل مرتبطاً بالحوادث فنظم حياتهم وفق ما يريد الله، وتوفى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والقرآن في صدور الصحابة وفي صحف متفرقة كتبها كتاب الوحي، وفي عهد الصديق أبي بكر (رضي الله عنه) أمر بجمع القرآن الكريم بمشورة الفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بعد معركة اليمامة التي استشهد فيها كثير من القراء، فجمع زيد

بن ثابت القرآن الكريم من الصحف الكثيرة المكتوب فيها القرآن عند أبي بكر، ثم انتقلت إلى عمر بن الخطاب ثم إلى حفصة بنت عمر رضي الله عنهم جميعاً.

وعندما اختلف بعض العراقيين والشاميين في قراءة بعض آيات القرآن الكريم في الحج زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وخيف على المسلمين أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، أخذ "عثمان بن عفان" الصحف المجموعة من أم المؤمنين "حفصة" وعهد إلى بعض الصحابة ومنهم "زيد بن ثابت" و"سعيد بن العاص" و"عبد الله بن الزبير" أن ينسخوا عدة مصاحف من الصحف التي جمعت في عهد أبي بكر الصديق، وأرسلها إلى الأمصار، وأمر بما عداها أن تحرق.

وكانت جهود أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان(رضي الله عنهما) في جمع القرآن وتعميم النسخ الموحدة على الأمصار الإسلامية في مقدمة الأعمال التي حفظت للأمة الإسلامية وحدتها عند حفظ الله سبحانه وتعالى لها الكتاب ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾. ولقد أنزل الله ـ عز وجل ـ القرآن الكريم لهداية الناسي أجمعين إلى ما به صلاح حالهم، لذا فقد حفلت آياته الكريمة بالنص على ذلك، قال تعالى: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين. يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ (المائدة،١٥-١٦). ويقول تعالى": ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾. (الإسراء،٩)، ويقول تعالى": ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم

وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ (يونس، ٥٧).

ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى قد حشد فيه كل ما يصلح العباد ويهديهم إلى الطريق المستقيم، ويجعلهم يستحقون ما كرمهم الله عز وجل به، فجعله جل شأنه محتوياً على الأوامر والنواهي، وبيان الحرام والحلال، والثواب والعقاب، والترغيب والترهيب، وفيه العبادات والعقائد والمعاملات والأخلاق، وغير ذلك كثير مما لا نستطيع حصره، يقول تعالى: ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً﴾ (الكهف، ١٠٩).

ومن هنا تجيء ضرورة أن يحتل القرآن الكريم المكانة الأولى، وأن يكون هو المصدر الأول الذي يجب الاعتماد عليه في عملية إعداد منهج التربية الدينية الإسلامية. والقرآن الكريم هو روح التربية الإسلامية، وينبوعها الصافي الذي لا تكدره الأيام فهو الذي يمد هذه التربية بالعناصر الآتية:

(١) بالعقائد الإسلامية التي يجب أن يؤمن بها كل مسلم، من إيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. قال تعالى: ﴿آ من الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ (البقرة ـ ٢٨٥)..

(٢) الأخلاق الفاضلة التي تهذب النفوس، وتصلح من شأن الفرد والجماعة، وتحذر من الأخلاق السيئة التي تودي بمعاني الإنسانية الفاضلة.

(٣) قصص الأولين أفرادا وأمماً، وقد أورد القرآن من ذلك الكثير مما يثير الاعتبار والاتعاظ، ويرشد إلى سنن الله في معاملة خلقه الصالحين منهم والمفسدين.

(٤) الأحكام العملية التي وضعها ووضع أصولها وكلفنا اتباعها في تنظيم علاقاتنا بالله سبحانه وتعالى، وعلاقتنا ببعضنا البعض.

(٥) الإرشاد إلى النظر والتدبر في ملكوت السماوات والأرض، وما خلق الله من شيء لنعرف أسرار الله في كونه وإبداعه في خلقه فتمتلئ القلوب إيماناً بعظمته.

(٦) الاسترشاد بما جاء فيه من مبادئ تربوية تساهم في فعالية العملية التربوية، كإثارة الانتباه والأذهان، ومراعاة ما بينهم من فروق فردية، والتعزيز والتدرج في التعليم، وربط التعليم بالمهنة، وربطه بالأحداث الجارية، والرفق مع المتعلمين.

السنة النبوية المطهرة:

وإذا كان القرآن الكريم هو المصدر الأول للتربية الدينية الإسلامية، فإن السنة النبوية الشريفة هي المصدر الثاني المتمم لهذا المصدر، فهي تشكل مع القرآن الكريم المصدرين الأساسيين للتربية الدينية الإسلامية. والسنة النبوية المطهرة هي ما أثر عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من قول أو فعل، أو تقرير، أو صفة، وهي مبينة للقرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ (النحل. ٤٤).

ويمكن القول بأن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) نهى عن كتابة السنة في البداية خوفاً من الالتباس بآيات القرآن الكريم، فلما نزل الكثير من آيات القرآن الكريم، وأمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) على آيات الذكر من الالتباس بالسنة أباح كتابتها.

ورسول الله ـ لأنه تمثل القرآن وحققه ـ أصبح بذلك قدوة لابد من اتباعها، يقول الله تعالى: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم. صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾ (الشورى ٥٢.٥٣)، ويقول تعالى: ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ (الأنعام، ١٦١). ويعمم الله تعالى الحكم تعميماً ويطلقه إطلاقا، فيقول:﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ (الحشر، ٧).

واتباع الرسولﷺ دليل على محبة الله تعالى لمن يتبعه وسبب حبه تعالى له، يقول تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ (آل عمران، ٣١). ومن أجل هذا لم يكن عجيباً أن يأمر الله بطاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، بل ويجعلها مقرونة بطاعته سبحانه وتعالى، فيقول: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾ (الأحزاب، ٣٦). ويقول سبحانه وتعالى: ﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾ (آل عمران، ٣٢). ومن هنا نعلم أن السنة النبوية تشكل المصدر الثاني للتربية الدينية الإسلامية بعد القرآن الكريم وفيهما الخير كله، والهداية الكاملة، والعصمة من الضلال.

وتساهم السنة النبوية في المجال التربوي بـ:

(١) إيضاح المنهج التربوي الإسلامي المتكامل الوارد في القرآن الكريم وبيان التفاصيل التي لم ترد في القرآن.

(٢) استنباط أسلوب تربوي من حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع أصحابه ومعاملته للأطفال.

منهج السلف الصالح:

لو تأملنا في كثير من النظريات والفلسفات والعقائد فسوف نجد أنه إذا كان لصاحب النظرية أو غيرها الرأي الأول بالنسبة لكل ما يتعلق بها، فقد جرت العادة أن أقرب الزملاء والتلاميذ المباشرين لصاحب النظرية، يكون مصدراً رئيساً يعتمد عليه عند الحديث عن النظرية أو المذهب، والنبي محمدﷺ الذي أرسله الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعقيدة الإسلام، كان له عدد كبير من الصحابة الذين تلقوا الدعوة على يديه وتحملوا معه مشقة نشرها، وكان الرسول الكريمﷺ معهم فترة لا بأس بها يربيهم ويعلمهم ويرشدهم ويصحح لهم ويقودهم فيما يقولون ويسلكون، فمن الطبيعي والأمر هكذا أن تدخل أقوال الصحابة ومنهجهم الصالح مصدراً أساسياً في بناء التربية الدينية الإسلامية.

ونستند على ذلك بقول الله تعالى:﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾ (التوبة،١٠٠). ونجد هنا أنه سبحانه وتعالى يمدح الذين اتبعوا الصحابة مما

يؤكد على أن الاستهداء بأقوالهم وأفعالهم مما يستوجب المدح، فذلك نوع من الاتباع.

ويدخل تحت هذا المصدر من مصادر التربية الدينية الإسلامية الأفكار والآراء، والتطبيقات التربوية التي صدرت عن بعض الفقهاء، وعلماء المسلمين الأخيار، والمفكرين الإسلاميين عبر التاريخ الإسلامي، ولذلك يمكن أن نقرر بأن كتابات علماء الإسلام السابقين تعد مصدراً ثرياً فعالاً للتربية الدينية الإسلامية ومنهجها..

وهناك مصادر أخرى للتربية الإسلامية مثل الفقه وأحكامه، والتاريخ الإسلامي و أحداثه، والفلسفة الإسلامية وأعلامها، بيد أن هذه المصادر نشأت عن المصدرين الأساسيين (القرآن الكريم والسنة النبوية) ومن ثم تعتبر مصادر ثانوية بالنسبة إلى المصدرين الأساسيين..

أسس التربية الدينية الإسلامية:

تستند التربية الدينية الإسلامية على مجموعة من الأسس منها:

(١) الأساس الفكري:

يعتمد الأساس الفكري في التربية الإسلامية على التصور الإسلامي عن الإنسان والكون والحياة.

نظرة الإسلام للإنسان:

تتمثل نظرة الإسلام للإنسان في نواح متعددة منها:

ـ حقيقة الإنسان وأصل خلقه: فالله تبارك وتعالى بدأ خلق الإنسان

من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، وذلك لجعله متواضعاً، واقعياً شاكراً لأنعم الخالق ومعترفاً بها ومؤدياً لحقوقها وواجباتها.

. تكريم الإنسان وتسخير ما في الأرض لخدمته، فقد كرم الله الإنسان وفضله على كثير من خلقه، كما سخر له ما في الأرض لخدمته. يقول تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ (الإسراء، ٧٠).

. الإنسان قادر على التمييز بين الخير والشر، والاختيار بين السعادة والشقاء ووهبه القدرة على التعلم والمعرفة، مع تزويده بأدواتها؛ السمع، والبصر؛ والفؤاد، وذلك ليحسن التمييز ويستطيع الاختيار، وبناء عليه فقد حمله مسئولية الاختيار فإذا أخطأ أو أصاب فهناك جزاء، وذلك لأن الشعور بالمسئولية يربي في الإنسان القدرة على الاختيار الأحسن، كما يربي فيه اليقظة الدائمة والاستقامة والوعي.

. مهمة الإنسان العليا عبادة الله، فالإسلام بعد أن بين حقيقة الإنسان، وما كرمه به من نعم كثيرة وما قدمه له من أدوات العلم والمعرفة، طالبه بإخلاص العبادة لله وحده.

أما نظرة الإسلام للكون فتشمل:

. إن الكون مخلوق لهدف وغاية تتضح في معرفة الظواهر الكونية، وأن الكون كله خاضع لسنن سنها الله وفق أقدار قدرها الله، وأن تسيير هذا الكون وتدبيره هو بقدرة الله وحده.

. قنوت الكون كله لله عز وجل، فالكون خاضع بأمر الله بما في ذلك الإنسان.

. تسخير كثير مما في الكون للإنسان، فالله عز وجل سخر الليل والنهار والشمس والقمر والفلك والأنهار والبحار، وهذا التسخير لخدمة الإنسان ولتربيته تربية إسلامية إيمانية متكاملة.

أما نظرة الإسلام للحياة تتركز في جانبين مهمين:

. إن الحياة دار اختبار وامتحان، فالإسلام نظر إلى الحياة الدنيا بشكل جدي قائم على الشعور بالمسئولية. وعلى الإنسان الذي يعيش في هذه الحياة أن يجتاز الاختبار للوصول إلى الآخرة وهي الحياة الدائمة، والنتيجة لهذا الاختبار بيد الإنسان، وعليه أن يختار بين الخير والشر بما ميزه به عن سائر مخلوقاته من حيث العقل والإرادة وأدوات العلم والمعرفة.

. إن الحياة الدنيا هي متاع مؤقت وليست هدفاً في حد ذاتها، يقول تعالى: ﴿ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾ (آل عمران، ١٤). فالحياة الدنيا هي وسيلة محدودة ومؤقتة لغاية كبيرة وهدف سام ودائم. وعلى الإنسان الذي يعيش في هذه الدنيا أن يستمتع بما فيها من نعيم وزينة وزخارف ولكن في حدود معينة وضعها الله وشرعها له، وعليه أيضا ألا يغتر بتلك الزينة ولا ينغمس فيها وفي شهواتها ويبتعد عن طاعة الله خالقه، بل عليه أن يسخرها في طاعة الله ومرضاته ورفع كلمته، ونصرة دينه واتباع تعاليمه.

(٢) الأساس التعبدي:

يشمل الأساس التعبدي الأعمال التعبدية التي ترتبط بمعان سامية تنبع من فطرة النفس، وتقوم بتنظيم حياة الفرد المسلم والمجتمع المسلم مثل: الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، وممارسة هذه الأعمال التعبدية لا تتم بشكل روتيني ليس له معنى أو هدف، بل إن كل ما يقوم به الإنسان من عبادات هي في الأصل أعمال سلوكية تنعكس آثارها الإيجابية على طريقة التعامل بين أفراد المجتمع المسلم وتنظم حياتهم.

وتظهر الآثار التربوية لتلك العبادات فيما يلي:

- تربية الوعي الدائم في الإنسان المسلم فهو يقوم بأعماله ضمن خطة معلومة ودقيقة وبفكر واع ومستنير بهدي الشريعة الإسلامية.

- تربية المسلمين على الارتباط بالجماعة المسلمة، فالمسلمون يؤدون الصلاة والزكاة والصوم والحج في شكل جماعي منظم وموحد، ويبتغون هدفاً واحداً هو مرضاة الله وحسن عبادته.

- تربية النفس المسلمة على العزة والكرامة، فالإنسان المسلم يؤدي هذه العبادة لله وحده وارتباطه بخالقه دليل عزته وكرامته وقوته ومكانته.

- تربية المسلمين على الأخذ بحياة الشورى القائمة على التعاون والمساواة والعدل فلا ظلم ولا استبداد.

- تربية الفضائل الثابتة المطلقة التي لا تقف عند حدود الأرض أو القوم بل تعم البشرية في كل مكان وزمان.

. تربية الثقة بالنفس وإضاءتها بنور الأمل المستمد من وعد الله لعباده المؤمنين بالجنة.

(٣) الأساس التشريعي:

الشريعة الإسلامية أساس عظيم من أسس التربية الإسلامية إذ تشتمل على بيان العقيدة وتنظيماً للحياة والعلاقات الإنسانية فيها، ويساهم الأساس التشريعي في:

. توضيح موقف الإسلام من الإنسان والكون والحياة والعلاقة بينهم.

. تقديم القواعد والنظم السلوكية لجعل حياة المسلم مثالاً للدقة والنظام والأخلاق الرفيع.

. تربية الإنسان على التفكير المنطقي السليم عن طريق استنباط الأحكام العامة وللاستفادة منها عبر العصور والأزمان والمواقف.

. إعداد مجتمع متحضر راق ومتعلم، بعيد النظر وعميق التفكير.

(٤) الأساس النفسي:

ارتكزت التربية الإسلامية على أسس نفسية نابعة من الدين الإسلامي، فالدين الإسلامي اعتنى بنفس المسلم ووجهها إلى حب الخير والتمسك بالفضيلة، كما هذبها التهذيب اللائق بكرامة الإنسان، وتصور لنا الآية الكريمة التالية هذا الاهتمام بالإنسان المسلم ونفسه، يقول الله تعالى: ﴿ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها ﴾ (الشمس،٧-١٠). وطبقا لهذا فينبغي مراعاة ميول

المتعلمين، وقدراتهم، واستعداداتهم، وهنا نجد ابن سينا يرى أن يبدأ التعليم الجدي المنظم حوالي السنة السادسة من العمر، وأن يتدرج في تقليل الرياضة واللعب ويبدأ في الدراسة المنظمة.

(٥) الأساس الخلقي:

لأن الدين هو الطاقة المحركة للحضارة الإسلامية فروعها المتعددة كان لابد ألا تتحول عملية التعليم إلى حشو العقول بالمعارف والمعلومات أيا كانت نوعياتها ومستوياتها، وإنما كان من الضروري أن ينظر فيها من حيث قدرتها على التغيير، بحيث ينهج الإنسان نهجاً خلقياً مستقيماً، فالله عز وجل عندما وصف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأنه على خلق عظيم، والرسولﷺ يؤكد أنه ما بعث إلا ليتمم مكارم الأخلاق، وتصفه أم المؤمنين عائشة بأن خلقه كان القرآن. ومن هنا فإن الجانب الخلقي من الجوانب المهمة التي يجب أن تراعى في عملية وضع المناهج للتربية الدينية الإسلامية كما يجب التركيز عليها.

والتربية الخلقية في الإسلام ذات شقين: الأول هو الشق النظري الذي يحدد الإطار الفكري أو ما يصح تسميته النظرية الأخلاقية كما تبدو في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. والثاني هو الشق العملي الذي يبين الممارسات العملية الأخلاقية في عالم الواقع.

لقد قدم الإسلام مبادئ أخلاقية عامة تأتلف فيما بينها لتكون في مجملها نظرية أخلاقية تشكل القاعدة الأساسية لكل الممارسات العملية وتتمثل هذه النظرية الأخلاقية الإسلامية في:

. المحددات المعرفية التي تتمثل في العلم والمعرفة.

. المحددات السيكولوجية (النفسية) التي تتعلق بالإنسان والطبيعة البشرية كالإلزام والمسئولية والحرية أو إرادة الاختيار.

. المحددات الجزائية التي تتعلق بجزاء الإنسان على أعماله من ثواب أو عقاب في الحياة الدنيا وفي الحياة الآخرة.

. أما المحددات العملية فتبين مدى اتساق سلوك الإنسان مع منظومة القيم الأخلاقية الإيجابية التي أمر الله بها من ناحية، واتساقه مع منظومة القيم السلبية التي نهى الله عنها من ناحية ثانية،فالممارسات العملية هي المحك الوحيد لاتساق سلوك الإنسان مع النظرية الأخلاقية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ومما لاشك فيه وجود عدد من العوامل والأسباب التي تدفعنا للتأكيد على الأساس الأخلاقي للتربية الإسلامية، ولعل من أهم هذه الأسباب:

(١) إن دراسة الأخلاق دراسة علمية دقيقة تؤدي إلى فهم أفضل لسلوك الأفراد و الجماعات، وبالتالي القدرة على التعامل معه والعمل على تعديله للوصول به إلى مستوى معين أو لتحقيق أهداف محددة.

(٢) إن دراسة الجانب الأخلاقي للتربية الإسلامية والتأكيد عليه تنطوي على أهمية كبيرة فيما يتصل بإعادة تكوين الفرد المسلم السليم الذي بعد عن الإسلام حتى أصبح في كثير من الأحوال لا يحمل من

الإسلام إلا اسمه، والذي خضع لتقاليد لا يعرف مصدرها ولكنه يتبعها على أنها من الإسلام، وهي ليست من الإسلام في شيء.

(٣) لقد تفشت في العالم الإسلامي ألوان من الرذائل، فتصور كثير من الناس، لاسيما من غير المسلمين أن هذه الرذائل ترتبط بالإسلام مثل الجهل والحسد والبغضاء والطبقية والرشوة، وغيرها من الصفات الذميمة.

(٤) إن إبراز مبادئ الإسلام الخلقية لا يكفي لإعادة بناء الفرد المسلم والجماعة المسلمة، بل لا بد أن نجذب المسلمين إلى دائرة السلوك وفقاً لهذي المبادئ. وجذب المسلمين إلى دائرة السلوك الأخلاقي الإسلامي يحتاج إلى تكاتف القوى في المؤسسات التعليمية والإعلامية والمجتمعية، ويحتاج إلى مرشدين ومفكرين قادرين على ربط المبادئ بالسلوك، أو بمعنى آخر قادرين على تضييق الهوة بين النظرية والتطبيق.

ويتسم الأساس الأخلاقي للتربية الإسلامية بالشمول، فدائرة الأخلاق والفضائل الخلقية ليست قاصرة على الفضائل الشخصية كما كانت عند فلاسفة اليونان ومن سار على نهجهم، بل اتسع مجال الفضائل حتى أصبح يضم مجموعة كبيرة من الفضائل، وأصبح للأخلاق ثلاثة أبعاد تقوم عليها:

- البعد النفسي الذي يرتبط بعلاقة الفرد مع نفسه.
- البعد الغيبي الذي يرتبط بما يؤمن به الفرد من معتقدات ومثل دينية وغيبية.

- البعد الاجتماعي الذي يرتبط بعلاقة الفرد مع أفراد مؤسسات مجتمعه.

وهكذا اشتملت دائرة الأخلاق الإسلامية على جميع أفعال الإنسان الخاصة بنفسه أو المتعلقة بغيره سواء كان هذا الغير فرداً أو جماعة، أو دولة، فلا يكاد يخرج شيء عن دائرة الأخلاق في الإسلام مما لا نجد له مثيلاً في أية شريعة سابقة سماوية أو غير سماوية. ولا شك أن التربية الدينية الإسلامية التي ترتكز على هذه الأسس لابد وأن تتسم بالترابط، والتكامل، والتضامن والتماسك، وأن الطابع المميز للمجتمع المسلم تنضبط مسيرة حياته بأحكام الشريعة، وتصلح أحواله بانتهاجه لمسلكها القويم، فقد صيغت شخصيته بالتربية الإسلامية، فانطبعت بخصائص هذه التربية.

وأسس التربية الدينية الإسلامية هي التي تصوغ المجتمع المسلم وتنشئه تنشئة متكاملة العناصر، لا يطغى فيها جانب على جانب آخر، وإنما تتوازن فيها جميع القيم والأخلاق الإسلامية، للترابط الجذري القائم بين القيم الأخلاقية والسلوكية، وبين القيم السياسية والعملية، بين تهذيب الروح وصقل الوجدان، وترقيق الشعور وتقويم السلوك، وبين ترشيد الممارسة العملية لهذه القيم في الواقع المعاش على مستوى تدبير الأمور العامة، على تعدد مراتب هذا التدبير.

الاتجاهات الدينية عند المراهقين:

يقصد بالاتجاهات أنها شعور تفضيلي يبنى على أساس الخبرة، كما

تشير إلى أنها حالة وجدانية قائمة وراء رأي الشخص واعتقاده فيما يتعلق بموضوع معين من حيث رفضه لهذا الموضوع أو قبوله.

ويرى "ألبورت" أن الاتجاه هو حالة استعداد عقلي وعصبي منظمة حول الخبرة توضح تأثيراً مباشراً على استجابة الفرد لكل المواقف والموضوعات التي تتعلق بها. والاتجاه في ضوء المكون المعرفي التقويمي عبارة عن عملية تقويم أحد موضوعات التفكير، والتي تمثل موضوعات اهتمام الفرد مثل الذات، الأم، المساواة. وقد تكون موضوعات الاهتمام هذه عيانية **concrete** مثل شخص مألوف، أو خبرة مؤسفة، وقد تكون مركبة أو مجردة**abstract** مثل الإنسانية أو الشر.

ومن التعريفات التي ركزت على تعريف الاتجاه في ضوء المكون المعرفي تعريف "روكتش" للاتجاه بأنه" تنظيم من المعتقدات له طابع ثابت نسبياً حول موضوع، أو موقف معين يؤدي بصاحبه إلى الاستجابة بشكل تفضيلي".

فالاتجاه من منظور "روكتش" هو تنظيم يختلف في مدى عموميته أو خصوصيته، في اتساعه أو ضيقه، طبقاً لما يتضمنه من أجزاء أو عناصر. وفي هذا الشأن ميز "روكتش" بين الاتجاه نحو الموضوع **object**، والاتجاه نحو الموقف**situation**. فموضوع الاتجاه يمكن أن يكون عيانياً أو مجرداً. أما الموقف فهو حدث دينامي نشط لمجموعة من المعتقدات توجد لدى الفرد. أما الاستجابة التفضيلية فيمكن فحصها من خلال بعدين هما:

- البعد الوجداني(الحب - الكراهية).

. البعد التقويمي(الحسن . السيئ).

ويمكن التعامل مع فكره التوجه على أنه يشتمل على مكونات ثلاثة هي:

. المكون المعرفي.

. المكون الوجداني.

. المكون السلوكي.

وتتميز فترة المراهقة بأنها فترة يقظة دينية توضع فيها المعتقدات الدينية التي قد كونها المراهق في طفولته موضع الفحص والمناقشة، وتتعرض للتعديل حتى تتفق مع حاجاته الجديدة الأكثر نضجاً، ولذلك فإن مرحلة المراهقة يصبغها الاتجاه الديني والاهتمام الديني.

ويزيد من اهتمام المراهق بالمسائل الدينية أنه مطالب بممارسة العبادات بشكل أكثر جدية مما كان عليه الحال في الطفولة،بالإضافة إلى أن مناقشاته مع أصدقائه يغلب على موضوعاتها الأمور والمشكلات الدينية، وكما أن بعض الحوادث التي تقع له كموت صديق أو قريب، أو الصعوبات التي يواجهها تجعله يزداد تركيزاً على الدين وأموره.وتتميز هذه الفترة بظهور الاتجاهات المختلفة لدى المراهق، أبرزها الاتجاه الديني وهو يتكون عنده عن طريق المرور بخبرة معينة، ولا يتكون من موقف واحد بعينة، ولكنه ناتج عن مجموعة مواقف يتعرض لها المراهق، وتساعد هذه الاتجاهات الدينية في إشباع حاجاته ودوافعه، وتحقيق أهدافه التي رسمها لنفسه.

ويمكن تصنيف الاتجاهات الدينية لدى المراهقين في أربع فئات كالتالي:

• الفئة الأولى: فئة تلتزم بقواعد الدين كما انتقل إليهم من البيئة التي نشأتهم دون ميل ظاهر إلى مناقشتها أو معارضتها أو حتى أخذها مأخذها تظهر فيه شخصيتهم..

• الفئة الثانية: فئة تأخذ الدين مأخذ الدين مأخذاً أكثر جدية، تتبدى فيها محاولة المراهق محاولة شخصية دعم الدين وتبريره وتسويده على اتجاه مضاد.

* الفئة الثالثة: فئة لا تقف مع الدين موقف الاستسلام السلبي، وتتفق مع الثانية في إبراز شخصيتها إزاء الدين ولكن في اتجاه نقدي، وهذه الفئة تنتمي إلى المتشككين.

* الفئة الرابعة:هي فئة المنكرين لله إنكاراً واضحاً(نعوذ بالله من الشرك والكفر والشقاق والنفاق)، وموقف هؤلاء يختلف عن موقف الفئة الأولى في تحررهم من الاستسلام والسلبية، وتتفق مع الثانية في الحسم، ولكنه حسم مضاد. والتوجه الديني عند المراهق يأخذ إحدى صورتين؛ الأولى هي توجه ديني ظاهري، وصاحبه غير ناضج انفعالياً، وغير متزن انفعالياً،حيث إن دوافعه الأولية تتحكم في سلوكه، كما أنه غير ملتزم بتعاليم دينيه ومعتقداته. وفي هذا يعتبر عدم صدق النية، وعدم إخلاص الفرد في عمله وقوله لله عز وجل، تديناً ظاهرياً، ومثل ذلك الشخص الذي ينفق ماله في وجوه الخير ويتصدق بها على الفقراء دون أن يقصد به

وجه الله وبداخله حب الثناء والتقدير من الآخرين.والصورة الثانية،هي التوجه الديني الجوهري، وصاحبه هو الذي يعيش دينه ويعده الغاية،ويعمل طبقاً لتعاليم دينه ويطبق ما أمر الله به، والإيمان بالعقيدة هو الدافع للحياة،أما الحاجات الأخرى فهي ذات أهمية ثانوية، ويمكن تكييف هذه الحاجات وتطويرها لكي تخدم الدين وتعاليمه.

معلم التربية الدينية الإسلامية وتنمية الاتجاهات:

لا شك في أن معلم التربية الدينية الإسلامية له الأثر القوي الإيجابي في تنمية اتجاهات المتعلمين الدينية، حيث أن الدراسات التربوية أكدت نتائجها على أن المتعلمين يتأثرون بمعلميهم، فهم يقلدونهم دائماً،، ولذلك يجب على معلم التربية الدينية الإسلامية أن يتمتع بقدر كبير من عظيم الخلق الطيب، والخصال الحسنة الفاضلة،، لذلك يؤكد التربويون على أمر مهم هو أنه ينبغي أن يكون تهذيب المعلم لطلابه، وتربيتهم تربية دينية أمراً نابعاً من نفسه، مؤمناً به، مخلصاً فيه، دون تزييف في عواطفه، ولذلك يشير في هذا الصدد محمد صالح سمك إلى أنه ينبغي على معلم التربية الدينية الإسلامية أن يكون عظيم التدين، قوي الإيمان، متمكناً من دينه في نصوصه، وأحكامه، وفقهه، عاملاً طبق أوامره ونواهيه،قادراً على تقريب دروسه إلى أذهان تلاميذه وطلابه، حتى يحسنوا فهمها والعمل بها. وقد قدم محمد صلاح الدين مجاور (١٩٩٤) عدة تساؤلات ذات أهمية تتعلق بدور معلم التربية الدينية الإسلامية في تنمية الاتجاهات الدينية الإيجابية لدى طلابه نذكر منها التساؤلات التالية:

(١) إلى أي مدى تساعدني القيم والاتجاهات الدينية في أثناء الدرس؟

(٢) هل أنا ممن يدركون حق الله وحقوق الناس؟

(٣) هل أمتلك شخصية تمثل قوة مؤثرة على التلاميذ؟

(٤) هل أنا إنسان ممن ينالون احترام البيئة والحي؟

(٥) هل أنا سعيد بأداء دوري في التربية الإسلامية؟

(٦) ما الذي حققته مع تلاميذي؟

(٧) هل حدث تأثير روحي فعلاً مع طلابي؟

لذا ينبغي على معلم التربية الدينية الإسلامية أن يضع نصب عينيه الاهتمام بغرس المبادئ والقيم الدينية في نفوس طلابه، وأن يهيئ المناخ المناسب لطلابه لاكتساب الاتجاهات الدينية الإيجابية، وأن يشجعهم على المشاركة في النشاطات الدينية المدرسية التي تدل على الوعي الديني القويم.

وحدد الدكتور حسن شحاتة بعض الأدوار المهمة لمعلم التربية الدينية الإسلامية أهمها ما يلي:

. مساعدة الطلاب على اختيار المعرفة المناسبة للموضوع الذي يقوم بدراسته، أو المشكلة التي تواجهه في المنهج المدرسي أو في حياته الشخصية.

. تزويد الطالب بالمهارات والقدرات اللازمة لنقد المعرفة التي حصلها والتأكد من سلامتها وصحتها.

. تدريب الطالب على كيفية استخدام المعرفة والإفادة منها في المشكلة التي يقوم ببحثها.

. فهم خلفية الطالب وظروفه الاجتماعية والاقتصادية.

. تعرف قدرات الطالب وتقدير الطالب وتقدير حاجاته يساعد المعلم في تنظيم وتصميم الخبرات التعليمية المناسبة لحالته.

. القيام بمسئوليات معينة تجاه عملية التكامل بين المدرسة والبيت متعاوناً مع المشرف الاجتماعي.

الفصل السابع

التنوير والراديكالية

(واقع مأزوم.. جدا !)

التنوير والراديكالية (واقع مأزوم.. جدا !)

(١) بإزاء البؤس المعرفي:

ثمة سنوات من البؤس المعرفي الذي يعيشه الوطن العربي في ظل التحولات العالمية المعاصرة والتي تتمثل أبرز إحداثياتها في التوجهات المعرفية الاصطناعية التي تعبث بالعقل كيفما شاءت ولا تكترث قليلا بثقافات الشعوب والمجتمعات ذات التاريخ الضارب في القدم، ولسوء حظنا على حد توصيف الشاعر الفلسطيني محمود درويش أننا الأكثر استجابة لأية تيارات وافدة فكرية تتعلق بعف الدماغ لا من حيث إمطار الذهن بأفكار جديدة تسهم في بناء الأوطان واستثمار القوى والطاقات، بل بزواياها السلبية التي تناهض أي بناء وتقاوم أي تطور نافع.

هذا بالقطع ما يرمي إليه أنصار تفتيت البنى العقلية أو المتلاعبون بالعقول وهو مصطلح عسكري في المقام الأول تم استخدامه في الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين الشعبية حيث السيطرة على العملاء بصورة يصعب على العقل إعمال طاقات التفكير والتدبر والتأمل بشكل طبيعي أو فطري، وما تم بالفعل خلال سنوات بعيدة على

شاطئين متغايرين تماما هو ما أدى بالعقل العربي إلى أقصى حالات البؤس المعرفي.

فالشاطئ الأول ادعى أنصاره ولا يزالوا في هوسهم غير المحمود أنهم دعاة التنوير وإعمال العقل وأصبح واجبهم الوطني والديني حماية العقيدة من شوائب الفكر المتطرف، وإقامة سياج قوي منيع على العقول الشابة خوفا من تسلل التيارات الراديكالية إليها.

(٢) شطحات التنوير السطحي:

وكارثة هذا الشاطئ في الحقيقة أخطر وأفجر من أصحاب الفكر الرجعي أو الطوائف التي اعتادت الاصطباغ بالنزعات الدينية المطلقة، لأن مجمل أصحابه ليسوا من المتخصصين في علوم اللغة العربية والشريعة، بل إن مجمل انتماءاتهم المعرفية تقتصر على دراسة التاريخ وعلم الاجتماع والقانون وأحيانا كثيرة اللغة الإنجليزية، ومنهم بالضرورة من خلط بين عمله الأكاديمي بالجامعة ونقل المعلومات القاصرة المحدودة بين دفتي كتاب إلى طلابهم، وبين كونه عالما مفكرا ظنا منهم بأن وظيفتهم شديدة الصلة بتقاضي راتب نظير نقل معلومات مجردة قد تبدو قليلة الفائدة والنفع بدليل تدني الدول العربية في مؤشر الأداء المعرفي لعام ٢٠٢٠ والذي تصدرت فيه دول مثل سويسرا وفلندا وسنغافورة والسويد هي ما تجعلهم . الوظيفة الأكاديمية . يقومون بدور تنويري موازٍ للمجتمع كله.

من هنا جاء ظهور هؤلاء الأكاديميين العرب إعلاميا وعلى مواقع التواصل الاجتماعي بزعمهم الافتراضي بأنهم يواصلون رسالة الإمام المجدد

محمد عبده أو التنويري طه حسين، لكنهم في حالة من الصخب الفكري مفادها ضرب الجذور الدينية العميقة من أساسها، وتقويض أية صلات رابطة بيننا وبين التراث المعرفي الرصين، واقتصرت محاولاتهم البائسة بل الأكثر بؤسا ويأسا في نقد الخطاب الديني.

وتبدو مشكلة نقد الخطاب الديني لدى هؤلاء مشكلة عصية، بل مستحيلة الرصد والتناول، لاسيما وأن اعتمادهم الرئيس على تناول النص بوصفه خطابا مع اختلاف التوجه والطرح والتلقي أيضا يأتي ضمن طروحات غربية نجمت في غالب الظن لا اليقين عن بعضنا عن محاولات الغرب المخالف في العقيدة الإسلامية على الطعن في ثوابت الإسلام والنبيل من رموزه بدءا من النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) مرورا بالصحابة الأجلاء الكرام، وانتهاء برموز وعلامات الفكر الإسلامي المضيئة.

وأصبح هؤلاء المهاجمون لكل ما هو عقائدي سواء من حيث الشخصية أو الطرح أو الوجود الديني لقمة سائغة وفريسة سهلة القنص لدى أعداء الإسلام المنتشرين تحت رايات حقوق الأقليات ومراعاة توظيف المرأة وتمكينها في المجتمعات الشرقية المحافظة، ودعاة الترويج لمنظمات المجتمع المدني. ناهيك عن المؤسسات الحقوقية غير الرسمية التي لا أعرف حد تمويلها أو نشاطاتها سوى تعكير السلم والأمن المجتمعي في الشعوب العربية التي سرعان ما تهرول وراء كل سقطات المفكرين الذين ينالون من صحيح الإسلام وأصوله، كل هؤلاء من أشخاص وجهات تبدو لي وللبعض مشبوهة التوجه هي التي تزين للعلمانيين أعمالهم وطروحاتهم

الفلسفية الفقيرة في التنظير والتأويل وهم أولى بالرعاية الصحية العقلية لردهم سريعا إلى الجذور الدينية الصحيحة وتبصير عقولهم وأبصارهم بسماحة العقيدة الإسلامية.

وكم من برنامج يتم بثه عبر شاشات الفضائيات العربية أي الناطقة باللغة العربية لأن معظمها يتم بثه من خارج الديار العربية الإسلامية مثل لندن أو باريس أو الولايات المتحدة الأمريكية يستضيف بعض الشخصيات الأكاديمية أو الصحافية من أجل تناول الموروث الديني من كتب أو صحائف نصوصية قديمة أو وثائق ومخطوطات ضاربة في التكوين من أجل قنص نقيصة أو خطأ مطبعي أو تصحيف أو تحريف لغوي تم بشكل قصدي مشبوه، وتلك الشخصيات تذيل اسمها بالمفكر الإسلامي أو الباحث في الشئون الإسلامية أو الكاتب المعين، وهذا يأتي من جملة الألقاب التي لا ضابط لها، وتنجح إدارة البرنامج في اختيار مذيع أو محاور بليد بالضرورة بالعلوم اللغوية والدينية من أجل إشعال فتنة العقل والوصول إلى أقصى درجة لتشتت المشاهد وكل هذا يتم تحت دعاوى تجديد الخطاب الديني، فيتم الهجوم على تفاصيل سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعلى سيرة الخلفاء الراشدين الذين سيثبت الضيف والمحاور أنهم ليسوا براشدين من أجل زيادة نسبة المشاهدة من ناحية، ومن أجل إرضاء أقطاب المؤامرة الخفية للإسلام من ناحية أخرى. وهذا يسب الصحابة، وذاك يطعن في كتب الحديث والسيرة والتراجم، وآخر يكيل الاتهامات بالرجعية والتخلف والنكوص بل والارتداد الفقهي لرجال الدين

المعاصرين، ثم نكتشف سريعا تفاصيل الحملة المسعورة ضد الإسلام والمسلمين في شتى بقاع الأرض.

رغم أن ما طرحه الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي من دعوات وطنية ودينية قويمة وصحيحة بضرورة تجديد الخطاب الديني لم يكن في مظانه ومظان رجال الدين المستنيرين من أمثال فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر بهذه الصورة، لكن تلقف البعض هذه الدعوات وتم تأويلها بصورة تتنافى من العقل والمنطق وإحداثيات المجتمعات العربية بل وتتنافى من النص الأصلي نفسه، فوجدنا أقلاما وأصواتا ووجوها لا يمكن حصرها بالفعل بدأت في حملتها المسعورة ضد الإسلام وثوابته وكيف أن الإمام مسلم أخطأ في مسنده، وأن الإمام الشافعي لم يكن أبدا على صواب، وطالما أخطأ الإمام أحمد بن حنبل في طرحه الفقهي وهكذا، ثم نرى من يدافع عن أصحاب الحملات المسعورة لاسيما في الغرب أو المنظمات الحقوقية التي ربما لا تفقه شيئا من قانون الإسلام ودستوره، ويظل تجديد الخطاب تائها بين دعوة صادقة أطلقها الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي بوعي وطني، وبين أشخاص كل مهمتهم الراهنة اللحاق بركب العلمانية المشوهة والطعن في الدين بأية صور مزعومة ما دام هذا يضمن لهم تسيد المشهد بشكل مستدام.

(٣) المؤسسة الدينية.. حالات من الغياب:

وقبيل أن ننتقل إلى أصحاب الشاطئ الآخر، نجد أن رجال المؤسسة الدينية الإسلامية يتخذون أمر النيل من النص الديني والطروحات الفقهية التراثية أخذ المتساهل، هذه البساطة في التصدي سواء من حيث ترك

القضية الفقهية أو العقائدية المثارة والتي قد يترتب عليها الإلحاد ليس فقط الجهل الديني بالعقيدة إنما ينتظرهم الإلحاد الكارثي. ووسط هذا يظل رجال المؤسسة الدينية لاسيما الأزهر الشريف في غفلة تامة بشأن محاولات النيل من الإسلام، تحديدا على سبيل الرصد حينما وجدنا ثمة هجوم على فضيلة الإمام الأكبر من أحد الشخصيات الإعلامية (نسبة إلى ظهوره الإعلامي فقط) غير المتخصص في الشئون الدينية الإسلامية أن رجال الأزهر تقمصوا شخصيات رواد صفحات التواصل الاجتماعي من حيث الرد والدفاع والهجوم وإعادة الصياغة وهكذا دون أن يتم الرد على إسلام بحيري الذي تطاول في حق الإمام الأكبر من زوايا ثقافية دينية. هذا هو أبلغ رد حقا، فأنا حينما أرى رجلا يهاجمني ويزيد من عداوته ويتطاول في بنيانه التهكمي من العبث والحمق أن أعتدي عليه بمثل ما نعتني به، بل الأصوب والأصح والأدق منهاجا في مثل هذه الأمور مهاجمة الشخص في أفكاره ومعارفه وكيفية توضيح غثها وبساطتها ومستوى عمقها بل ضرب جذور هذه الأفكار من خلال صاحبها ومناطق اكتسابها.

أما المنتسبين لوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية المصرية على وجه التحديد والاختصاص، فالأولى بالدولة أن تثمن جهودها المخلصة في الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني صوب هؤلاء فهم أحق بالتدريب والنهوض بمعارفهم وثقافتهم الدينية التراثية والمعاصرة على السواء، والكشف عن آليات جديدة معاصرة في تدريبهم والوصول إلى درجة فائقة من التمكن والإتقان في الدعوة وتصحيح الأفكار المغلوطة.

(٤) فقه المواجهة:

وهذا يعيرنا من جديد إلى مستويات التلقي الغائبة عن وعينا المعرفي لاسيما وأننا بالفعل نشهد بؤسا معرفيا على مستوى شهودنا الحضاري العربي من المحيط إلى الخليج، لأن فعالية القراءة المنتجة للنصوص الدينية تقتضي توافر شروط متعددة يتمثل بعضها في الرصيد الفكري والثقافي الذي يمتلكه القارئ، وتجاوبه مع المواضعات العامة والمفاهيم السائدة التي تحكم إنتاج النص الفقهي أو الديني بوجه عام، فضلا عن كيفية تفاعله مع النص من خلال استخدام استراتيجيات قرائية معينة تضمن سلامة التلقي والتأويل والتفسير. وهذه الشروط تجعل الداعية على وعي دائم بالمعلومات والمعارف والإشارات والتنبيهات واللطائف المقدمة له داخل النص وربطها ربطا إيجابيا مع خلفيته الثقافية وطبيعة مجتمعه المعاصر؛ ليصل إلى معان جديدة واستنتاجات يمكن تطبيقها، ومن هنا تكمن أهمية القراءة المنتجة في كونها وسيلة لتنمية تفكير المواطن، وتوسيع لقدرته العقلية.

وربما أكون مبالغا بصورة كبيرة إن أشرت بالقول إلى أن القراءة المنتجة الواعية للطروحات الدينية القديمة والمعاصرة بوصفها إحدى نواتج قوة المعرفة لا تكتفي بجعل القارئ مستوعبا فقط لما يقرأ وناقدا له فحسب، بل تتعدى ذلك صوب التعمق في النص المقروء، والسعي لإيجاد علاقات وروابط جديدة بين أفكاره ومكوناته، وإبراز حلول متنوعة للمشكلات التي يطرحها النص الديني (التراثي أو المعاصر).

(٥) الرؤى الضيقة:

أما بالنسبة لأنصار الشاطئ الآخر للبؤس المعرفي، فلا يزال الفكر التكفيري يواصل زحفه في شتى بقاع الأراضي العربية، متسلحة في ذلك بحالات التشتت العربي والصراعات السياسية بين القوى المتناحرة في العراق وسورية ولبنان وتونس وليبيا في ظل ثبات نسبي بمصر والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، وهذا الجنوح التكفيري لم يعد الآن من المقبول رده إلى التيارات الدينية التقليدية مثل جماعة الإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية الجهادية كما كان الأمر سالفا، وأيضا تنظيم القاعدة الذي كان صاحب رايات التكفير والغلو في الرأي منذ سنوات، لكن في ظل حروب الجيل الرابع والفضاءات الإلكترونية وجموح المنصات الرقمية وسط حالات مستدامة من الغياب العربي الوطني لدى الشباب المسلم بات الأمر أكثر صعوبة في المواجهة.

فكنا منذ عقد من السنوات نظن أن ظهور تنظيم الدولة (داعش) سيمثل المرحلة الأخيرة من الراديكالية المتطرفة غير الواعية والفقيرة معرفيا، لكن بمرور الوقت وفي ظل تبعات وجود أجيال طويلة تربت في أحضان تنظيمات الإخوان والسرورية والقطبية والجماعات الإسلامية والسلفيين الجدد طالعا أن مواجهة الأفكار الظلامية يمكن أن تكون مستحيلة ليس فقط لكثرة أبناء وأحفاد تلك التنظيمات السرية، لكن لأن متغيرات العصر هي التي شكلت ملامح الصعوبة والاستحالة، فالمنصات الرقمية مجهولة المصدر والتأهيل والتكوين لاسيما الخارجية تدعم حالات الجهل

الديني، وتقوض أية فرص سليمة لتصحيح أمور العقيدة المغلوطة لدى الشباب من الترويج الهائل والمستمر لفئات بليدة تافهة وممسوخة لمطرب عاري الصدر أو مطربة مبتذلة الصوت والأداء والمظهر أيضا، ودعم الكتابات الروائية المنحلة التي تتناول فقه الجسد وأحاديث غرف النوم فقط دون المساس بقضايا الوطن أو تعميق الرؤى الوطنية والقومية لديهم، هذه هي التحديات الأجدر بالمواجهة.

وفي ظل وجود فقر معرفي يتصل بالمسألة الدينية بدأت المنظمات الخارجية في دعم أي تيار ديني جاهل للتغلغل والانتشار بصورة سريعة بين أوساط المجتمعات العربية التي بدت تائهة بين ترقب الأعمال الدرامية في رمضان، أو متابعة أحداث الرياضة العربية المخيبة للآمال أيضا، نجد الدور البارز للمنصات الرقمية التي تروج للأفكار الدينية المغلوطة وإثارة الفتن ضد الحكومات والأنظمة العربية الحاكمة، وتزيين الصورة لبعض الشخصيات المثيرة للفوضى سواء من الشخصيات المعاصرة أو الذين ماتوا وهم على حالة عداء واضح مع الأنظمة السياسية أو المجتمعات من أمثال سيد قطب أو حسن البنا من قبله أو غيرهما ممن اعتاد الترويج للفوضى قبل العنف عن طريق استغلال المنحى الديني.

(٦) الغلاة الجدد:

أما الكارثة المؤججة حقا والتي لابد للأنظمة العربية الحاكمة أن تكترث كثيرا لها هي وجود مئات الأكاديميين الجامعيين بالجامعات والمعاهد العربية، وهؤلاء لايزالوا من دراويش التيارات الجهادية التكفيرية التي تكفر

وتنذر بالخراب وتفتي بالقتل وتتبنى الاغتيال الفكري قبل الجسدي، فجامعاتنا العربية لاسيما الذين يقومون بتدريس العلوم الشرعية واللغوية هم بعينهم من يروج للتكفير وينطبق على مجملهم "لا تظن أنياب الليث تبتسم وهي بارزة" إنما هي على أهبة الاستعداد للقنص والفتك والنيل من الأوطان العربية، وأبالغ في حد توصيفهم بالجهل الفقهي واللغوي والعقائدي لأن تكوينهم وإعدادهم كان في ظل ظروف اقتصادية فقيرة تتوازى مع بيئاتهم المعرفية الأشد فقرا.

وكم من أستاذ جامعي يقبع داخل قاعة محاضراته بين طلابه وهو لا يخرج عن عباءة أسلافه من التكفيريين الذين يقفون ضد أي نظام حاكم، ويريدون العودة بنا إلى عصور ظلامية لا تختلف نسبيا عن محاكم التفتيش الذائعة في أوروبا وقت ظلاميتها، وهؤلاء قصروا جهدهم الفكري ـ إن وجد ـ إما عن التلميح دون التصريح على سياسات الأنظمة السياسية الحاكمة المعاصرة، أو اتهام الآخرين بالعمالة والخيانة، أو بالسعي المريض وفقا لهوسهم المعرفي بقضايا المرأة والنكاح والزواج الشرعي أم العرفي فهم لا يفطنون بعد أحكامه في الإسلام الصحيح، ويتعاملون من الدين ونصوصه بمنطق التلقي السلبي الذي لا يريد أن يعمل العقل أو الفكر.

وإذا أردنا أن نرصد البؤس المعرفي لدى الأكاديميين غلاة التكفير في العصر الحديث، فيكفينا الإبحار الإلكتروني في شبكات ومواقع ومنصات التواصل الاجتماعي لنستبين عن قصد ووضوح حالات البؤس المعرفي الديني لديهم من جهة، والمكر بالأوطان والشعوب من أجل مطامح ذاتية من جهة أخرى.

هؤلاء غلاة التكفير من أنصار البؤس المعرفي الذين ناشدوا ضحايا سورية من قبل، ودعوا إلى أنهم زاحفون إلى القدس بالملايين، هؤلاء هم الذين لايزالوا يؤيدون تظاهرات تطبيق الشريعة الإسلامية وكأنهم في سويسرا صاحبة المركز الأول في مؤشر الأداء المعرفي العالمي.

٧ ـ تحت قبة الجامعة:

ثمة شواهد تحدد العلاقة التاريخية بين الدين والسياسة، وهذه العلاقة التي طالما شهدت حالات من الصراع الدائم بين التنوير والراديكالية المتمثلة في التطرف العقائدي المفرط، لكن قد تتجاوز حالة الصراع من سجالات الكتب والمناقشات وصراع الفضائيات بين الفريقين إلى الساحة الأكاديمية وهنا تصبح الظاهرة المستدامة أكثر شراسة لأنها تتعلق بمستقبل عقول صناع المستقبل أنفسهم ألا وهم الشباب، وهذا ما ألفيناه واضحا خلال فترة المد الإخواني بصفة خاصة والجموح المستعر لتيارات الإسلام السياسي منذ سقوط نظام مبارك في مصر وبن علي في تونس، فكان الخلط بين الديني والسياسي من ناحية، والخلط العجيب بين الديني والطرح المعرفي الأكاديمي من ناحية أخرى وهو المشهد الذي استرعى النظر والنقد ومن ثم تأويله.

واستعلاء التقوى الذي مارسه الكثير بل كل المنتمين لجماعات الإسلام السياسي في فترة حكم جماعة الإخوان لمصر جعلهم يتمتعون بخلفية رصينة لدى طلاب الجامعة لمعارفه ولما يقدمه لهم سواء كانت هذه المعرفة دينية أو علوما إنسانية كالتربية وعلم النفس والتاريخ والجغرافيا، أو

علمية محضة كالطب والهندسة والصيدلة. والتماس المنتمين لتيارات الإسلام السياسي للمرجعية الدينية في أثناء طرحهم العلمي داخل قاعات الدراسة مكنهم من السيطرة على العقول من جهة، وإيجاد فجوة من الشراكة والتفاعل مع غير المنتمين من الطلاب لفكر هذه الجماعات والتيارات، لكن ما فكرة فيه هؤلاء الأساتذة حينها وربما لايزالون يسعون بخطى وئيدة لتحقيق ذلك هو أن الجمع بين السلطتين الدينية والمعرفية يمكنهم من إحكام السيطرة على أذهان طلابهم ومن ثم تسهل عملية التوجيه والإرشاد لهم من أجل تحقيق مطامح وأطماع وأهداف جماعة بعينها تماما كما فعل الأساتذة المنتمون لجماعة الإخوان فترة حكم الرئيس المعزول محمد مرسي فضلا عن تحقيق حلم ضامر في نصوصهم المرجعية وهو إضعاف المؤسسة العلمية بصفتها رمزا للعلمانية والمدنية التي يرفضونها جملة وتفصيلا.

وتلك الفكرة ظلت لعقود بعيدة تراود زعماء التيارات الدينية ذات المرجعيات الراديكالية وهم في صراعهم الطويل الطويل مع رموز التنوير منذ منتصف القرن العشرين على وجه التحديد، وبلغ الصراع مداه في تهميش جماعات الإسلام السياسي لأدوار أستاذ الجامعة المهموم بالنهضة الحقيقية وتنوير العقول وتبصير الأذهان والأبصار بإعمال العقل وضرورته، كذلك كان مبدأ هذا التوجس المزمن بعقول زعماء وأنصار الفكر الراديكالي هو انتفاء الربط بين الشرع والحقيقة أي الفلسفة وطروحات العقل، الأمر الذي دفع بهم إلى تكفير قاضي القضاة والفيلسوف الأول

ابن رشد الذي يتبنى فكره معظم التنويريون، واستهدفوا في ذلك الدمج بين الديني والسياسي والعلمي واستحالة التقاء الفلسفة بالشرع. وهذا الأخير هو الفقيه القاضي الفيلسوف الأندلسي صاحب أشهر المقولات التي أرقت فكر جماعات الإسلام السياسي منذ قرون، ومؤسس التفجير العقلي الذي زلزل عروش تيارات التطرف والإرهاب، فهو القائل "إنّ الحكمة هي صاحبة الشّريعة، والأخت الرّضيعة لها، وهما المصطحبتان بالطّبع، المتحابّتان بالجوهر"، و"اللحية لا تصنع الفيلسوف"، وأيضا قال "لسبب في ورود الظاهر والباطن في الشرع هو اختلاف فطر الناس وتباين قرائحهم في التصديق".

وهذا ليس بجديد، لأن تاريخنا الإسلامي القديم شهد جدلا واسعا وكبيرا بين العقل والنقل، وهذا ما دفع المتأخرون حتى وقتنا الراهن إلى الرفض المطلق لمباحث الفلسفة، كذلك الإعلان بعدم نجاح أو جدوى كافة الأيديولوجيات التي تنتمي للحداثة وأن تجلياتها الاجتماعية والاقتصادية هي محض عبث.

وليس من باب الدهشة أن يقوم أنصار تيارات الإسلام السياسي من أساتذة الجامعات العربية في مصر وتونس والجزائر الدمج بين الدين والسياسة وصولا لسدة الحكم من بوابة تطبيق الشريعة الإسلامية من وجهة نظرهم فحسب لا من باب صحيح الشرع، لكن الدهشة الحقيقية هو تسييس العلم والمعرفة والاتجاه ببوصلة الدرس الجامعي إلى تناول قضايا وأفكار تتواصل بالضرورة مع مرجعيات تلك الجماعات تماما كما حدث في

مصر أيام فترة حكم جماعة الإخوان حتى سقوطهم الشعبي في الثلاثين من يونيو ٢٠١٣.

وكانت حجتهم أن التغيير الحقيقي في المعرفة هو الابتعاد عن علوم ومعارف الحداثة وكل ما ينتمي إلى فكرة المدنية التي تعد رجسا يدفع بالأمم إلى الانتحار الإنساني، وهذا الدفع المستمر من جانب الأكاديميين خلق حالات من اهتزاز المعرفة الحقيقية لدى الشباب الجامعي، وجعلهم في مقام مستدام من محاكمة المعارف التي تقدم لهم تحت قبة الجامعة. وكانت المشكلة الرئيسة وربما ظلت قائمة حتى الآن في ظل وجود خلايا نائمة لأنصار تلك التيارات وبقاء وجوه جامعية مستترة غير معلنة أنهم دون استثناء متفقون على الطرح المعرفي الذي يقدمونه إلى طلابهم لأن المرجعية لديهم ثابتة دونما تغيير أو تطوير فهي تم نقلها تحت سلطة السمع والطاعة، بخلاف الأكاديميين ذات توجه التنوير، المختلفين في طرحهم والمهمومين بنقد الواقع المعرفي بصور شتى وزوايا متباينة، صبَّ هذا الاختلاف بين الفريقين لصالح أنصار تيار الإسلام السياسي لاتفاقهم في رصد الواقع، وسرد المرجعية الخاصة بهم، والتوجه إلى هدف محدد بغير لغط.

أما المرفَّهون من أصحاب قضايا التنوير ونهضة الأمم أحفاد ابن رشد فهو في شقاق واختلاف بقدر اختلاف مشاربهم الفكرية والمذهبية، لذا فحينما ينقدون مجتمعاتهم البائدة أو الراهنة فهو يتمثلون مدنا فاضلة افتراضية قد نتلمسها فقط من خلال تغريدات إلكترونية أو منشورات يتم بثها وطرحا على مواقع التواصل الاجتماعي دونما فائدة مرجوة.

هذا من منطق البدايات المتباينة بين من زعم بالتنوير سلاحا لتطوير المجتمع، ومن سعى في خفاء تارة وعلن تارة أخرى بهدف استغلال الدين وصولا إلا أغراض ومطامح سياسية، أما عن النهايات أو بالأحرى محاولة لاستشراف نهايات الفريقين؛ التنوير والراديكالية فالمشهد يبدو واحدا بغير اختلاف.

فتيارات الإسلام السياسي لم تحقق أغراضها لأنها باختصار ضد سيرورة التجديد والتطوير، وانغلاقهم في نصوص بشرية وضعها مؤسسي تلك التيارات حتى صارت المرجعية المطلقة جعلت بمنأى عن حركة التغيير المجتمعي المتسارع والمتصارع أيضا. وفكرة ارتكان معظمهم إن لم يكن الكل إلى أفكار أبي الأعلى المودودي وحسن البنا وسيد قطب وعبد الله عزام وأسامة بن لادن وأيمن الظواهري التي لم تخرج عن توصيف المجتمعات الإسلامية بأنها مجتمعات جاهلية منحرفة عن التعاليم الإسلامية هي التي أودت بأصحابها والأفكار نفسها إلى هاوية التطبيق والإجراء.

وخصوصا سيد قطب الذي ظل في كتابه الأشهر "معالم في الطريق" يؤسس لجاهلية المجتمع الإسلامي القائم وتكفير الأنظمة السياسية الحاكمة ربما لخلافات تبدو شخصية في المقام الأول، سرعان ما تحولت إلى مرجعية لمريديه من القطبيين وأنصار جماعة التكفير والهجرة لاسيما وأنه استطاع أن يقدم منهجا ثابتا لأنصاره مفاده أن الحكومات ورعاياها أيضا يقبعون في دوائر الكفر والضلال ومن ثم لابد من تغيير حالة الفسوق التي تتسم بالشيوع باستخدام العنف والقوة.

ووفقا لقاعدة السمع والطاعة في المنشط والمكره المثبتة في المرجعية المعرفية لجماعات الإسلام السياسي لاسيما المتصفة بالتكفير ومواجهة رموز التنوير بالعنف فإن كل وافد جديد لهذه الجماعات لا يجوز له الانحراف عن هذا الخط والنهج المرسوم لزمن معين ولخلافات تاريخية وسياسية بعينها ولأغراض وأطماع ذات خصوصية.

لذلك نجد المهرولون صوب فكر الجهاديين والحاكميين في حالة هجوم مستدام لمواضعات فكرية محددة مثل حقوق الإنسان وحرية العقل وإعمال الفكر والتأويل، رغم أن هذه المواضعات وغيرها حض عليها الإسلام الصحيح والشرع الواضح بغير اختلاف.

ومن هنا لا عجب في سقوط أفكار التكفيريين الجدد وانهيار أحلامهم الضاربة في القدم، كما سقطت أفكار المؤسسين الأوائل لأنهم باختزال شديد في حالة هوس بمجتمع يبدو كافرا بل هو كافر بالقطعية من وجهة نظرهم القاصرة والضعيفة لأن واقعنا الراهن والمنصرم أيضا يفي بوجود مجتمعات دينية قائمة ومؤسسات دينية بارزة ولدى الشعوب العربية بطبيعة الحالة ولع ديني لا يمكن إغفاله أو انقضاؤه أبدا. وحينما نقيّم تاريخ الحركات الإسلامية السياسية منذ اندلاعها فيسهل استشراف نهاياتها كونها لا تزال قابعة في فكرة الخلافة الإسلامية والالتحاف بكيانات وجيوب تاريخية معلنة حدادها المستمر على الواقع.

فضلا عن أن سياسات جماعات الإسلام السياسي يمكن توقع سقوطها التاريخي بامتهار؛ لأنها تسهم في رمي الإسلام وأهله باتهامات خطيرة مثل الوحشية والتطرف والعنف والإرهاب المسلح، والأخطر والأشد فتكا

اقتناص الإعلام المقروء والمرئي والمسموع لحالات الهوس المرضي لكثيرين من المنتمين لتيارات الإسلام السياسي بل لقياداتهم بالمرأة وهذا الجنون الجنسي الذي يدفعهم إلى الحديث عن قضايا النكاح والزواج والرضاعة وأحكام المعاشرة أكثر من الفقهاء والأطباء والمصلحين الاجتماعيين.

هذا بالنسبة للفريق الأول، أما أنصار التنوير رافعي شعارات نهضة الأمم بإعمال العقل، فاستشراف نهاياتهم أيضا تبدو جلية؛ لأنه بات من الضروري ابتعاد هؤلاء عن التنظير المطلق دون رصد حركة المجتمعات القائمة بالفعل، والاقتراب المتواصل بغير انقطاع مع الجامعيين الشباب لمعرفة احتياجاتهم المعرفية وآفاق مطامحهم المستقبلية. كذلك يشكل بعض أنصار التنوير عبئا على الإسلام أيضا؛ لأن بعضهم عاقد العزم على الطعن في الدين وثوابته من باب الولوج إلى متاهات الحداثة الأكثر غموضا، ونجد بعضهم أيضا من يمارس فعل التيارات الراديكالية في الهجوم على الشخصيات الوطنية التي ساهمت في نهضة الأمة العربية وهذه قاعدة تظل راسخة لدى البعض لا يمكن الفكاك من رصدها.

وعليه، فإن تاريخ الصراع بين أنصار التنوير وأنصار الراديكالية سيظل قائما ومشهودًا، ويبدو أن كتاب السجال بين المواضعتين التنوير والراديكالية المرجعية سيبقى مفتوحا بغير انتهاء سواء في تشويه الدين بقصد أو بغير قصد، وسيظل باهتا في سطوره ما لم ينتبه كلا الفريقين إلى أن الإسلام هو أقصى وآخر درجة لإعلاء العقل وهذا ما نص عليه القرآن الكريم والسنة النبوية العطرة لصاحبها صلى الله عليه وسلم.

خاتمة:

سعينا في كتابنا هذا إلى عرض لأبرز التيارات والفلسفات الإلحادية المعاصرة، وبيان أهم ملامحها وأغراضها، وحاولنا بشكل مقصود أن نشير إلى سلبيات ونقائص هذه التيارات المشبوهة والتي غزت مجتمعاتنا الإسلامية. كما حولنا أن نوضح للقارئ المسلم مطاعن هؤلاء الملاحدة والعلمانيين التي وجهوها للإسلام وعقيدته السمحة، بالإضافة إلى عرض أبرز التهم التي وجهها أعداء الإسلام له بهدف تشويه صورته لا سيما في عيون الغرب.

وحاولنا في الكتاب الحالي الذي يقارب توصيف الدراسة أن تفند وتدحض مزاعم ومطاعن الملاحدة والمشككين في وجود الله والإسلام بصفة خاصة معتمدين في ذلك على استخدام المنطق العقلي والبرهان الاستدلالي، ومدعمين الاستنتاجات العقلية بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

واختتم الكتاب بوضع خطة إجرائية لمواجهة الملاحدة والتيارات والفلسفات الإلحادية المعاصرة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية. وأسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في دراستي هذه من حيث الهدف والمنهج والتناول، والله أرجوه أن يغفر لي بعملي هذا يوم لا ظل فيه إلا ظله، وأدعو الله تبارك وتعالى أن يرفع قدر الإسلام والمسلمين إلى أن تقوم الساعة، أستغفرك الله وأتوب إليك.

* * *

الدكتور بليغ حمدي إسماعيل

المنيا ـ أبريل ٢٠٢٢

ملاحق الكتاب

الآية
١١- ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾
١٢- ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾
١٣- ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾
١٤- ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾
١٥- ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾
١٦- ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾
١٧- ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾
١٨- ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ

الآية
قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ ﴾
١٩ - ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾
٢٠- ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ ﴾
٢١- ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾
٢٢- ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾
٢٣- ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾
٢٤- ﴿ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾
٢٥- ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ ﴾
٢٦-﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ ﴾
٢٧- ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ ﴾
٢٨- ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾

الآية

٢٩- ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ
مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾
٣٠- ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ
لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾
٣١- ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ
وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ
وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾
٣٢- ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ
ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن
رُّسُلِهِۦ ﴾
٣٣- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ
ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ
وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ
فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾
٣٤- ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ
ٱلۡخَالِصُ ﴾
٣٥- ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾
٣٦- ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ
ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾
٣٧- ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾

الآية

٣٨- ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾

٣٩- ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

٤٠- ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾

٤١- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾

٤٢- ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾

٤٣ - ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾

٤٤- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾

٤٥- ﴿ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾

الآية
٤٦- ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾
٤٧- ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾
٤٨- ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾
٤٩- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾
٥٠- ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾
٥١- ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾
٥٢- ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾
٥٣- ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾

ثانيًا– الأحاديث النبوية

الحديث
١ – «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»

٢– «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» .

٣– «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ههنا– ويشير إلى صدره ثلاثًا– بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه» .

٤ – «أتيت النبي ﷺ وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير ، فسلمت ثم قعدت ، فجاء الأعراب من ههنا وههنا ، فقالوا : يا رسول الله أنتداوى؟ قال : تداووا ، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء ، غير داء واحد . . الهرم» .

٥ – «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإذا استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليفعل» .

٦ – «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصًا وتروح بطانًا» .

الحديث

٧ - «ما أكل أحد طعامًا خيرًا من أن يأكل من عمل يده» ، وقوله ﷺ : «من أمسى كالًّا من عمل يده أمسى مغفورًا له» .

٨- «الإيمان : أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره» .

٩ - «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا» .

١٠- «المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزاء . . الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، والذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم ، والذي إذا أشرف على طمع تركه لله عز وجل» .

١١- «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»

١٢ - «بركة الطعام الوضوء قبله ، والوضوء بعده»

١٣ - «من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عامًا»

الفهرس

تصدير ٥

الفصل الأول: التيارات والفلسفات الإلحادية(البابية ـ البهائية ـ القاديانية ـ الشيوعية) ١٥

الفصل الثاني مطاعن الملاحدة: ٣٥

الفصل الثالث: خطة مواجهة التيارات الإلحادية المعاصرة ٥٧

الفصل الرابع: الإسْلامُ بَيْنَ الشَّرْقِ والغَرْبِ ٧٠

الفصل الخامس: الحرب على الإسلام.. سهام الداخل ٧٦

الفصل السادس: ركائز التنشئة الإسلامية ١٣١

الفصل السابع: التنوير والراديكالية ١٥٦

ملاحق الكتاب ١٧٤